

أبو بكر الصولي وجهوده النقدية

Abu Baker al Soli and his Critical Efforts

إعداد الطالب

علي محمد مسلم الحواتمه

إشراف الأستاذ الدكتور

سعود محمود عبد الجابر

قدمت هذه رسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

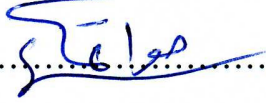
2010م - 2011م

صفحة التفويض

أنا علي محمد مسلم الحواتمه أفوض جامعة الشرق الأوسط ، بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات ، أو المنظمات ، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها .

الاسم : علي محمد مسلم الحواتمه

التاريخ : ٢٠١١/٤/٤ م

التوقيع : 

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها : أبو بكر الصولي وجهوده النقدية

وأجيزت بتاريخ : ٢٤ / ٨ / ٢٠١١ م .

أعضاء لجنة المناقشة

١ . الأستاذ الدكتور : عبد الرؤوف زهدي

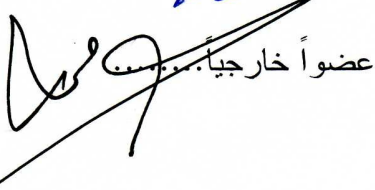
٢ . الأستاذ الدكتور : سعود محمود عبد الجابر

٣ . الأستاذ الدكتور : محمد أحمد المجالي

جهة العمل - التوقيع

رئيساً


مشرفاً


عضواً خارجياً


شكر وتقدير

الحمد لله على فضله وإحسانه ، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، وله الشكر والثناء الحسن ، والصلاة والسلام على حبيبنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، فإني إن كنت قد وفقت فيما ذهبت إليه في هذه الدراسة فإن ذلك مرده إليه سبحانه جلّ شأنه ، لما حبانني به من إرشاد عالم فاضل وموجه مخلص وصادق أمين في خدمة اللغة العربية .

كان أستاذي الدكتور سعود عبد الجابر نعم القدوة في النصح والإرشاد والإشراف والمثابرة والصبر والدقة والالتزام وطيب المعشر وحب العلم والدعوة إليه ، فأرجو من الله العليّ القدير أن يوفقه في خدمة العلم والمتعلمين . وأن يجزيه عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة . كما أتقدم بالشكر للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين سيكملون هذه الدراسة بعلمهم وملاحظاتهم واطلاعهم الواسع على أسرار النقد الأدبي قديمه وحديثه ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد المجالي .

وكل الشكر والتقدير إلى أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية ، بكلية الآداب في جامعة الشرق الأوسط ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي ، لما قدمه لي من عون ومساعدة وإرشاد إلى طريق البحث بالعلم والمعرفة والنصح دون ملل ، فاللسان يعجز عن ذكر فضلهم ومساعدتهم لي _ أطال الله عمرهم وجعلهم ذخراً لخير الوطن والأمة .

وكل الشكر إلى جميع من أعانني بجهدهم أو وقته أو دعائه سواء أكان من الأقارب أم من الأصدقاء أو الأحباب أو الزملاء . وأسأل الله أن يجعل كل ما قدمه أولئك في ميزان حسناتهم وأن يجزل لهم الأجر والثواب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الإهداء

أهدي رسالتي هذه إلى

والدي : رحمه الله وجعله من أهل الجنة .

والدتي : العزيزة أطال الله في عمرها .

زوجتي : الغالية حفظها الله .

ابني زيد وابنتي شهد : رعاهما الله .

لهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

الباحث

علي محمد مسلم الحواتمه

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	شكر وتقدير
هـ	إهداء
و - ح	فهرس المحتويات
ط - ي	الملخص باللغة العربية
ك - ل	الملخص باللغة الإنجليزية
3 - 1	المقدمة
4	الفصل الأول ويشتمل على :
9 - 5	التمهيد
10	مشكلة الدراسة
10	أهداف الدراسة
10	أهمية الدراسة
11	حدود الدراسة
11	منهجية الدراسة
13 - 11	الإطار النظري
15 - 14	الدراسات السابقة

16	<p>الفصل الثاني :</p> <p>الباب الأول</p> <p>مكوناته الثقافية</p>
18 - 17	اسمه ونسبه
19 - 18	مولده ونشأته
22 - 19	أساتذته
24 - 23	تلاميذه
31 - 25	منابع ثقافته
35 - 31	مصادر روايته

36	<p>الفصل الثاني :</p> <p>الباب الثاني</p> <p>نتاج الصولي ومنهجه في التأليف</p>
40 - 37	مؤلفات الصولي الإخبارية
41 - 40	مجموعة الكتب الأدبية واللغوية
43 - 41	منهج الصولي في التأليف
44	<p>الفصل الثالث</p> <p>الباب الأول</p> <p>منهج الصولي النقدي وآراؤه النقدية</p>
48 - 45	التمهيد
63 - 49	المقارنات

71 - 64	السرققات
73 - 71	سرققات البحتري من أبي تمام
80 - 74	موقفه من اللفظ والمعنى
83 - 81	موقفه من الشعر وعلاقته بالدين
84	الباب الثاني الخصومة بين القدماء والمحدثين
85	تمهيد
89 - 86	أثر الصولي في الخصومة حول أبي تمام
95 - 90	موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام
97 - 95	ميل الصولي لأبي تمام
99 - 97	رد تهمة الكفر عن أبي تمام
102-100	النتائج والتوصيات
109-103	المصادر والمراجع

المخلص

قامت الدراسة على تبيان الجهود النقدية عند أبي بكر الصولي وتوضيحها وتفصيلها وتبيان دور الصولي في الكثير من القضايا النقدية التي دارت في القرن الرابع الهجري وخاصة قضية المقارنات والموازنات بين الشعراء ، والسراقات الأدبية ، وقضية اللفظ والمعنى ، والشعر وعلاقته بالدين .

وبينت الدراسة دور الصولي في كل من هذه القضايا بشكل مفصل وكيف أنه انتقل بالنقد الأدبي من مرحلة التأثر إلى مرحلة التطبيق العملي ، ويبدو هذا جلياً في مسألة المقارنات . وتوضح الدراسة أن الصولي كان من أنصار الشعراء المحدثين وخاصة أبي تمام إذ تعصب له وناصره وتصدى لكل من أثار الشبهات حول شعره ومثلت على ذلك بتصدي الصولي للنقاد المتعصبين على الشعراء المحدثين .

وتتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول يضم كل من الفصلين الثاني والثالث بابين وقد ختمت دراستي بما توصلت إليه من نتائج وتوصيات .

تناولت في الفصل الأول : تمهيداً لهذه الدراسة بإلقاء الضوء على عصر الصولي من الناحية الثقافية والعلمية وخاصة الحياة الأدبية والنقدية .

أما الباب الأول من الفصل الثاني تناولت فيه مكونات الصولي الثقافية ، اسمه ونسبه ، مولده ونشأته ، أساتذته وتلاميذه ، وأبرزت منابع ثقافته ، ومصادر روايته .

أما الباب الثاني : فقد جعلته خاصاً بنتاج الصولي و منهجه في التأليف

ي

أما الباب الأول من الفصل الثالث : فقد خصصته لمنهج الصولي النقدي وآرائه النقدية وأهم القضايا النقدية وهي المقارنات ثم قضية السرقات ، ثم قضيتي اللفظ والمعنى و أوضحت موقف الصولي ونظرتة للدين وعلاقته بالشعر .

أما الباب الثاني : فكان حول الخصومة بين القدماء والمحدثين .

وختمت دراستي بحمد الله بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها

الدراسة .

Abstract

This study is based on identifying the critical efforts of Abu Bakr al-Souli, clarifying , elaborating and demonstrating the role of Souli in a lot of monetary issues that took place in the fourth century AH, and especially the issue of comparisons and balances between the poets, plagiarism, the issue of pronunciation and meaning, and poetry and its relationship to religion.

The study shows the role of Souli in each of these issues in details and how he moved from literary criticism stage of vulnerability to the stage of practical application, and it seems this issue is clear in the comparisons.

The study shows that Souli was a supporter of modern poets, especially Abu Tammam where he was intolerance and espoused by him .He addressed each of the raised suspicions about his poetry and was represented that by criticizing the modern poets.

The study consists of an introduction and five chapters and I have finished my study with a conclusion including its findings and recommendations.

The first chapter dealt with a prelude to this study shed light on Al Souli age in terms of cultural, scientific and private life of literary and monetary

The second chapter: dealt with the Al Souli life , his name and lineage, his birth and upbringing, his teachers , his disciples, his highlighted culture, and his novel and its sources

The third chapter I made it special for Al Souli books and his

method of writing .

The fourth chapter is appropriated to Al Souli 's approach and his critical thinking and the most important critical issues such as comparisons and the thefts issues , then the issue of pronunciation and the meaning which clearly shows Al Soul's position and his view of religion and its relationship to poetry .

The fifth chapter is about the rivalry between the ancient and modern

.

In the conclusion, I praise my Allah and shows the main findings and recommendations of the study.

المقدمة

أبو بكر الصولي (ت 336هـ) علم من أعلام النقد في القرن الرابع الهجري ، ألف كتباً عدة في معارف شتى ، منها كتابي أخبار أبي تمام وأخبار البحتري ، وضع فيهما مقاييس وآراء نقدية هامة أثرت الحركة النقدية قديماً وحديثاً .

ولا شك أن دراسة علم من أعلام النقد السابقين ، تهدف إلى أن تقدم إلى الأجيال اللاحقة صوراً معبرة تمثل شخصيات العلماء والأدباء السابقين ، وتوضح آراءهم وثقافتهم وتلقي الضوء على ما قدموه للبشرية من نتاج علمي وأدبي في مختلف الميادين والأغراض .

وقد هداني البحث بفضل توجيه أستاذي الفاضل الدكتور سعود عبد الجابر إلى اختيار موضوع دراستي هذا فكان دراسة الجهود النقدية عند علم من أعلام النقد البارزين في القرن الرابع الهجري ، ولما يخلو كتاب من كتب التاريخ أو التراجم أو الأدب أو النقد ، من تناول اسمه وآرائه وهو « أبو بكر الصولي » .

تطلب البحث في دراسة الجهود النقدية لهذا العلم من أن اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول يضم كل من الفصلين الثاني والثالث بابين وقد ختمت دراستي بخاتمة تضمنتها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات .

تناولت في الفصل الأول : تمهيداً لهذه الدراسة بإلقاء الضوء على عصر الصولي من الناحية الثقافية والعلمية وخاصة الحياة الأدبية والنقدية ، وذلك لإبراز العوامل المؤثرة التي أسهمت في تكوين شخصية الصولي النقدية .

أما الباب الأول من الفصل الثاني : تناولت فيه حياة الصولي، اسمه ونسبه ،مولده ونشأته ،أساتذته وتلاميذه ، وأبرزت ثقافته الموسوعية التي شملت جميع العلوم وفنون آداب عصره لأن الصولي لم يكن يؤمن بالتخصص في فرع معين من فروع العلم أو الثقافة لذلك جاءت ثقافته شاملة لكل ما زخرت به الثقافة العربية ، وأخيراً روايته ومصادرهما إذ تناولت العوامل التي جعلت من الصولي راوية للأخبار والأشعار وأوضحت عناية الصولي برواية الشعر واهتمامه بالأبيات التي أثارته حولها الخلاف .

أما الباب الثاني : فقد جعلته خاصاً بمؤلفات الصولي وقد قسمت كتب الصولي من حيث الموضوعات إلى مجموعتين : الأولى تشمل مؤلفاته الإخبارية ومثلت على ذلك بكتاب الأوراق وأخبار أبي تمام وأخبار البحتري ، والثانية : تشتمل على مؤلفاته الأدبية واللغوية فذكرت الكتب الموجودة ثم أوردت أسماء الكتب المفقودة .

وبعد أن تناولت مؤلفات الصولي بينت منهجه في التأليف ذلك المنهج الذي يقوم أساساً على : التعويل على الروايات ، والحرص على ذكر سلسلة الإسناد وإضافة الآراء الشخصية .

أما الباب الأول من الفصل الثالث : فقد خصصته لمنهج الصولي النقدي وآرائه النقدية وقد شمل مقدمة وأهم القضايا النقدية التي تناولها الصولي في مؤلفاته وهي المقارنات التي عقدها الصولي بين الشعراء ، وخاصة بين أبي تمام والبحتري ، ثم قضية السرقات وموقف الصولي منها ، ثم قضية اللفظ والمعنى وموقف الصولي فيها إذ بينت أن الصولي لم ينتصر للفظ على معنى ولا لمعنى على لفظ وإنما زواج بينهما إذ كان مقياس الجودة هو الفاصل عنده كما أوضحت موقف الصولي ونظرته للدين وعلاقته بالشعر ، إذ وضع الصولي الدعامة الأولى لاستقلال هذه

النظرية النقدية في تاريخ النقد العربي وفصل الدين وقواعده عن الشعر وأحكامه وأبعد الكفر والإلحاد عن جودة الشعر أو ردايته .

أما الباب الثاني من الفصل الثالث : فكان حول الخصومة بين القدماء والمحدثين ، وبينت أثر الصولي في الخصومة حول مذهب أبي تمام وكيف أن النقاد انقسموا إلى مؤيد ومناهض لهذا المذهب الجديد كما تناولت موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام، وبينت رأيه بمن عاب شعر أبي تمام بأن خصومه صنفان : رجل جاهل عجز عن فهمه فعابه ، ورجل ساقط يريد أن يتخذ من تجريحه لأبي تمام سبيلاً إلى المجد. وثم بينت ميل الصولي لأبي تمام فهو عنده رأس في الشعر⁽¹⁾.

وأخيراً بعد أن تناولت ميله وحبه لأبي تمام أوضحت بأن الصولي أصبح محامياً و مدافعا عن أبي تمام إذ رد عنه ما اتهم به من كفر وإلحاد .

وختمت دراستي بحمد الله بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة .

(1) انظر أخبار أبي تمام : 5

الفصل الأول :

- التمهيد .
- مشكلة الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- حدود الدراسة.
- منهجية الدراسة .
- الإطار النظري .
- الدراسات السابقة .

التمهيد

شهد النقد في القرن الثالث الهجري نهضة شاملة في الحياة الفكرية من علمية وأدبية ، كما شهد طوائف من العلماء ينصرفون للعلوم والفنون .

فعلماء الدين يبحثون في أصول الدين والتشريع كعلوم القرآن والحديث والفقہ ، وعلماء الكلام يجادلون في العقائد ، وعلماء اللغة يجدّون في جمعها ويضعون نحوها وعروضها وشعرها بناءً على ما جمعه ، والإخباريون والنسابون يدونون في كتب شعر الشعراء وأخبارهم ، والمترجمون ينقلون إلى العربية عن اليونانية والفارسية والهندية معظم ما كان معروفاً عن الأمم القديمة المتحضرة من فلسفة وعلوم وآداب .

وهذه النهضة العلمية الفكرية التي نمت وتطورت في القرن الثالث الهجري والتي أفاد منها علماءه وأدباؤه وأضافوا إليها الكثير من جهودهم العلمية ، ازدادت قوة وحيوية ، واتساعاً وانفتاحاً ، وأثرت إلى حد كبير في كل شأن من شؤون الحياة العربية العامة ، ومن ذلك الشعر والنقد الأدبي .

أما الشعر فراح يفعل بالحياة الجديدة الآخذة بأسباب الحضارة ، وراح يُمعن في تحضره وتحرره من قيود الشعر القديم وتقاليدته ، كما راح يلبي أدواق عصره ، فيطرق أغراضاً شعرية جديدة ، ويتوسع في أغراض أخرى ، ويستحدث في هذه وتلك معاني طريفة ، كما يتحدث بلغة شعرية تغلب عليها سيماء الحضارة الزاهرة آنذاك .

وأما النقد الأدبي فقد تأثر إلى حد بعيد بالنهضة العلمية والأدبية التي شهدتها القرن الثالث الهجري ، ولهذا نراه يتطور كثيراً ، لا من حيث شكله ومظهره ولكن من حيث حقيقته وجوهره

وذلك بفعل العناصر الثقافية الأجنبية التي بدأت تتسرب إليه والروح العلمية التي تحركه وتسيره وتباين أمزجة المشتغلين به واختلاف ثقافتهم .

فالنقد الأدبي في هذا القرن لم يعد يعتمد كثيراً على الذوق الفطريّ أو الذوق العربي المحض ، وإنما أخذ يتجه إلى نقد يحاول الانتفاع بكل ما جاءت به النهضة العلمية في القرن الثاني الهجري ، وإن كان لم يتخلص تماماً من روح النقد العربي القديم .

وهذا التطور أو هذا الاتجاه الجديد الذي يريد أن ينتقل بالنقد الأدبي من نقد ذاتي إلى نقد موضوعي ، وضع له قواعد وأصولاً علمية تقاس بها الأعمال الأدبية .

إن هذا الاتجاه الجديد في النقد كان سبباً في الخصومة التي قامت وقتئذ بين أنصار القديم والحديث من الشعراء والنقاد ، وإذا كانت هذه الخصومة قد انقضت بانقضاء القرن الثاني وذهاب القدماء ، فإنها امتدت إلى القرن الثالث الهجري بين المحدثين أنفسهم : بين من تمسك منهم بمذاهب القدماء ، ومن يؤثر الجديد ويمعن فيه .

وهذه الخصومة بين المحدثين من الشعراء أدت بدورها إلى خصومة بين نقادهم، فمنهم من تعصب لأنصار القديم من الشعراء ، ومن تعصب لأنصار الحديث ومنهم من اتخذ طريقاً وسطاً بين الفريقين .

وإذا ألقينا نظرة على ميدان النقد في هذا القرن رأينا أن هناك فرقاً من النقاد لكل منها منهجها الخاص ومقياسها الذي تقيس به الشعر وتحكم عليه . ومن أهم هذه الطوائف : طائفة العلماء الأدباء ، ولعل أكثر رجال القرن الثالث الهجري اشتغالا بقضايا الأدب والشعر والنقد هم العلماء الأدباء ، ممن تعمقوا في الثقافة العربية وألموا بمعارفها ، وخير من يمثل هذه الطائفة

الجاحظ الذي كان لمؤلفاته الأدبية وآرائه وجهوده النقدية أثر كبير في تطوير حركة النقد الأدبي وتوسيع مجاله ، وتعبيد طرقه أمام من جاء بعده من النقاد.

أما النقد في القرن الرابع الهجري فقد كان متسع الأفاق متنوع النظرات خصباً جداً يعتمد على الذوق الأدبي السليم ، وهو نقد يرجع بنا إلى عهد متقدمي اللغويين ، الذين جروا في النقد على الأصول العربية في القرن الثالث الهجري ، فليسوا كاللغويين يعكفون على القديم وينفرون من المحدث ، وليسوا كالأدباء يفهمون الشعر المُحدث فهما عابراً لا يكشف سره ولا توضح علله وإنما هم صنف من النقاد: الذين جمعوا بين الذوقين ، وأخذوا من الطريقتين وتضلّعوا في القديم وألفوا الحديث واعتمدوا على الذوق في فهم الأدب ، وأنسوا بما شاع في عصرهم من أساليب الجدل والحوار فصاغوا فيها كل ما اهتموا إليه من أحكام ونظريات .

وفي القرن الرابع لا نجد ناقداً أديباً يستسيغ أن يقسم الشعر أربعة أضرب أو ثمانية ، أو يجعل للفظ نعتاً محددة قاسية . وإنما الشعر أصبح إصابة معنى وإدراك غرض بألفاظ سهلة عذبة ، سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد ولا تنقص نقصاناً يقف دون غاية . لقد أصبح الشعر في هذا القرن صياغة حليت بالبديع ، ورصعت بالمحسنات في معنى دقيق وعميق لا يستخرج إلا بالغوص ، ولا يوصل إليه إلا بعد التفكير كما أصبح في نظر النقاد حسن النظم ، وصحيح السبك وقريب المأثى ، وكثير الماء . الشعر هو هذه العناصر جميعها موزعة بين الشعراء ، ومقسمة على فنون الشعر وأبوابه ، فوجوه الحسن فيه متنوعة ، ومظاهر القبح فيه متنوعة أيضاً والأذواق تتفاوت بين هذا وذاك تفاوتاً بعيداً . أما الطرق العلمية الخالصة فلا تستطيع أن تدرك

المجال الفني على وجهه ، وتصل إلى قراراته وتكشف سره ، وإنما مدار ذلك يعود إلى الذوق الأدبي وإلى الطبع والدربة والخبرة ، وكلها شروط يجب أن تتوفر في الناقد .

وبقدر ما يحرص الناقد على التتويه بالذوق الأدبي، والإشادة به، والتعويل عليه قبل كل شيء في دراسة الشعر فيقوم ما ضعف، ويصل منه ما انقطع بقدر ما يقترب من فهم الأدب.

إن نقاد القرن الرابع قد عملوا على تدعيم مكانة فهم الأدب ، وعلى أن النقد صناعة لا بد فيها من طبع وقريحة ، كما لا بد في الأدب نفسه من طبع وقريحة ، ولا بد لهذا الطبع من خبرة وطول معاناة . وإن بعض العلماء واهمون حين يريدون أن يخوضوا في النقد بما عندهم من علم وأنهم يظنون باطلاً ، حين يبتغون معرفة أسرار النقد وغوامضه بتقسيمات المنطق واطلاع على بعض مقاييس اللغة العربية .

كل هذا تنديد بالذهنية العلمية في النقد ، وتعريض بالذين تصدوا له دون أن يكون لهم فيه طبع ودراية ودربة . حتى كان القرن الرابع الهجري، الذي جاء بأشخاص كانوا قوى دافعة في توجيه النظرية النقدية في الشعر فتمعقوا في العلاقة بين النظر والتطبيق، وحققوا للنقد شخصية متميزة بعض التميز. ومن هذه القوى : أبو بكر الصولي - موضوع الدراسة - الذي أسهم في تطور النقد الأدبي والذي كان لجهوده النقدية الأثر الأكبر في تطور النقد ورفيه .

وفي الحقيقة ، لم يكن هدفي - في دراسة الصولي - تتبع حياته أو استقصاء أخباره أو العكوف على حوادث التاريخ التي كان طرفاً فيها ، وإن كنت قد بذلت في سبيل ذلك الكثير من الجهد ، حتى يتسنى للقارئ أن يتعرف وبشكل واضح على شخص هذا العالم الأديب ، بل كان هدفي تبيان الجهود النقدية عند الصولي .

ومن أجل أن يستفيد منها أكبر قدر من القراء ، فيجدوا فيها زاداً سائغاً ممتعاً ، وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت في تقديم هذا العالم الأديب الناقد ، وفي رسم صورة واضحة لمعالمه وملامحه ، تكشف عن جوانب نقده وعلمه ، وأسرار عبقريته وبالغ أثره في المجالات المتعددة التي شاء له حظه أن يدور فيها .

وكل ما أبغيه أن أكون قد أعطيت العلم حقه، وهذا الناقد حقه... فإن وجد في هذه الدراسة نقيصة تنقصها، فلست أدعي العصمة، فالكمال لله وحده، نسأله السداد والتوفيق...

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- ❖ ما القضايا النقدية التي عالجها الصولي في مؤلفاته ؟
- ❖ بم امتازت آراء الصولي النقدية ؟
- ❖ ما دور الصولي في تطور النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري ؟
- ❖ ما أثر جهود الصولي النقدية في انتقال النقد من نقد تأثري إلى نقد تطبيقي ؟

أهداف الدراسة :

الوقوف على الجهود النقدية التي بذلها الصولي ، وأثاره الأدبية ، (شعراً ونثراً)
وجهوده النقدية ، ومساهمته في تطور النقد الأدبي ، وأهم القضايا التي طرقها في مؤلفاته
وبخاصة ، في كتابي ، أخبار أبي تمام ، وأخبار البحتري .

أهمية الدراسة :

ولاشك أن هذه الدراسة سيفيد منها كل باحث يرغب بالوقوف على جهود أبي بكر
الصولي في مجال النقد الأدبي ، خاصة أن الصولي لم يحظَ من قبل بدراسة وافية مستقلة .

حدود الدراسة :

تتناول هذه الدراسة أبا بكر الصولي وجهوده النقدية ، في القرن الرابع الهجري ومكانته في النقد الأدبي ، ودوره في تطور النقد وتقدمه في ذلك العصر ، والإضافات النقدية الجديدة التي جاء بها هذا الناقد ، التي حفلت بها مختلف مصنفاته الأدبية .

منهجية الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي القائم على تحليل المحتوى ، وذلك من خلال جمع وتحليل المعلومات النقدية التي أوردها الصولي في مختلف مصنفاته ، مرتكزة على مختلف المصادر ، والمراجع ، والدوريات ، ودراساتها وتحليلها بشكل موضوعي .

الإطار النظري :

❖ (الصولي - 1963)

وهو كتاب في سلسلة أصدرها في أخبار الشعراء وخص كل واحد منهم بكتاب مفرد . ألف هذا الكتاب للأمير أبي الليث مزاحم بن فاتك ، ويتضمن آراء نقدية ودفاعية عن مذهب أبي تمام في التجديد والصنعة.

❖ (الصولي -1958)

وهو كتاب متمم لأخبار أبي تمام، وفيه يفضل أبا تمام ويؤخر البحتري بوصفه تلميذاً لأبي تمام ، ويورد بعض أخطائه ومساوئه. والكتاب مقدمة

لديوان البحتري الذي جمعه الصولي، وفيه ترجمة للشاعر وأضواء على حياته وعلاقاته بالخلفاء وأعلام عصره وعلمائه .

❖ (مطلوب - 1973)

تكمّن أهمية الكتاب في إبراز أهم الاتجاهات النقدية وتسليط الضوء على نقاد ذلك العصر، وقد أشار لأبي بكر الصولي ، وموقفه من أبي تمام والبحتري دون تفصيل أو تحليل .

❖ (عتيق - 1980)

يهتم الكتاب بدراسة تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، والتعرف إلى جهود علماء العرب والمسلمين في تطور النقد الأدبي وازدهاره .

❖ (عباس - 1983)

يحفل الكتاب بالعديد من الآراء النقدية ، منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ويورد في الكتاب رأياً مفاده ، بأن مؤلفات الصولي هي أقرب إلى السير منها إلى النقد⁽¹⁾. وهذا الرأي لا يتنافى مع جهود الصولي النقدية .

❖ (سلام - 1983)

يعرض الكتاب أصول النقد العربي القديم ومشكلات هذا النقد وقضاياها ويقاربهها من قضايا النقد في العصر الحديث.

(1) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 151 .

❖ (مندور - 1986)

يطرح الكتاب العديد من قضايا النقد الأدبي ومعالجتها وبيان آراء وجهود
النقاد العرب في تلك القضايا.

❖ (المومني - 1986)

يتناول الكتاب أهم النقاد في القرن الرابع الهجري، وكذلك أهم القضايا النقدية
كقضية اللفظ والمعنى، والسرقات.

إن تلك الكتب في الإطار النظري قد تناولت القرن الرابع الهجري
وتطرقت إلى أهم نقاد ذلك العصر وأوضحت دورهم في تقدم النقد الأدبي
وتطوره ، غير أنها لم تتناول جهود الصولي النقدية بشيء من التفصيل وإنما
كان فيها إشارات عابرة يتم ذكره فيها حينما يذكر مذهب الصنعة ، أو
التعصب لمذهب أبي تمام وأسلوبه الجديد في صناعة الشعر .

الدراسات السابقة :

❖ تحريشي (رسالة ماجستير) ، (1989)

يتطرق إلى مساهمة النقد الأدبي في شرح و توضيح الشعر العربي خاصة في القرن الرابع الهجري، مركزاً على قضية اللفظ والمعنى، ومقياس الجودة و الرداءة، في توصيل مضامين الشعر وشرحه، وتأثر المحدثين بالقدامى وكذلك خروج بعض المتأخرين على منهج القصيدة العربية القديمة.

❖ موسى (أطروحة دكتوراه) ، (1992)

تبين الدراسة مساهمة النقد الأدبي في إثراء النثر الأدبي في القرن الرابع الهجري، والتركيز على مختلف ألوان النثر، وما جاء فيه من تجديد وصناعة وإغراق في استخدام المحسنات البديعية، ويذكر أهم الكتب التي ألفت في ذلك العصر.

❖ رابعة (رسالة ماجستير) ، (1995)

تتناول الدراسة أسس النقد الأدبي، وكيفية تطوره، وأهم العوامل التي كان لها الأثر الأكبر في تقدم النقد وازدهاره، ويتعرض لأهم القضايا النقدية ، ويُجمل معظم المصنفات والمؤلفات النقدية في تلك المرحلة .

❖ أورنه (رسالة ماجستير) ، (2003)

اتخذ من شعر المتنبي نموذجاً لبيان مواطن الجمال ومسألة التأثر والتأثير في المعاني وخلق وإبداع الصور والتراكيب الجديدة المعبرة، التي كان لها أثر كبير في تطور النظرية النقدية، والانتقال بها إلى مراحل متقدمة.

خاضت الدراسات السابقة في موضوع النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري وتناولت القضايا التي تناولها الصولي والتي كان له فيها رأي واضح غير أنها لم تذكر جهود الصولي في تلك القضايا ، وإنما كان ذكره للاستشهاد على قول غيره من نقاد عصره .

الفصل الثاني

الباب الأول : مكوناته الثقافية

- 1- اسمه ونسبه .
- 2- مولده ونشأته .
- 3- أساتذته .
- 4- تلاميذه .
- 5- منابع ثقافته .
- 6- مصادر روايته .

اسمه ونسبه

أجمعت المصادر العربية التي ترجمت لأبي بكر الصولي على اسمه ، ونسبه ، وكنيته ولقبه . فهو : ((محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين)) البغدادي

الشطرنجي . إلا أننا نجد التباين والاختلاف في طريقة إيراد اسمه من حيث الطول والقصر .

فمنهم من أورد اسمه واسم أبيه فقط ⁽¹⁾ ، ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وسلسلة أجداده

حتى وصل إلى الجد الأكبر صول تكين ⁽²⁾ .

وتبع اتفاقهم على اسمه ونسبه اتفاقهم أيضاً على كنيته ولقبه ، فهو عندهم جميعاً

((أبو بكر الصولي البغدادي الشطرنجي)) ⁽³⁾ .

أجمع أغلب المؤرخين ، والأدباء ، وأصحاب التراجم ، بأن لقب (الصولي) هذا نسبة

إلى جده الأكبر (صول) ⁽⁴⁾ .

وعموماً إنه جرجاني الأصل من مدينة صول ، فمن ينسبه إلى جده يطلق عليه

(الصولي) ومن ينسبه إلى موطنه يطلق عليه (الصولي) ، غير أن نسبته إلى جده مما أجمع

عليه الرواة والمؤرخون .

(1) شذرات الذهب : ١2 339 .

(2) وفيات الأعيان ، 477\3 ، الكامل في التاريخ : 324\6 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 359\6 ، معجم

الشعراء : 265 ، معجم الأدباء : 109\19 .

(3) مرآة الجنان : 319\2 .

(4) وفيات الأعيان : 25\1 .

وقد أجمع كل الذين ترجموا لأبي بكر الصولي على عراقه أصله ، ونسبه ، فقال ابن الأنباري⁽¹⁾: ((وكان ذا نسب فإن جده (صول) وأهله كانوا ملوك جرجان)) وقال ابن الأثير، والسمعاني ، وابن الجوزي⁽²⁾: ((جده الأعلى هو صول ملك جرجان)) وتشير المصادر العربية القديمة إلى أن أبا بكر محمد بن يحيى أحد حفدة (صول تكين) الأمير التركي الجنس ، الذي نرح إلى جرجان إحدى مدن فارس وتملكها هو وأخوه فيروز وتشبه بالفرس ودان بدينهم المجوسي ، وعبد النار وظل على ذلك ردحاً من الزمان فنشأت سلالته على التشبه به وبأهل فارس ، حتى كانت حملة (يزيد بن المهلب بن أبي صفرة) على جرجان واستيلائه عليها ، ودخول الإسلام فيها ، فأسلم (صول) على يديه وأصبح مولى من مواليه ولم يزل معه حتى خرجاً معاً على بني أمية فقتلا يوم العقر⁽³⁾ سنة 102 هـ .

مولده ونشأته

كان مولد الصولي ببغداد⁽⁴⁾، حيث نشأ بها ، ولم يذكر مؤرخوه أو المترجمون له شيئاً عن مولده أو طفولته . عموماً إن أبا بكر الصولي ولد في خمسينيات القرن الثالث الهجري في سنة خمس وخمسين ومائتين . فنحن نرى صورة لشبابه في بغداد وتردده على الأدباء والعلماء والشعراء في سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة .

(1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء : 343 .

(2) الكامل في التاريخ : 324\6 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 359\6 .

(3) الأغاني : 43\10 . (يوم العقر : هو عقر بابل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب ووصول

سنة 102 هـ)

(4) إرشاد الأريب : 136\7 ، معجم الأدباء : 110 \19

ويحدثنا الصولي أنه التقى بالبحثري الشاعر⁽¹⁾ في هذه السنة وقرأ عليه وسمع منه . كما يحدثنا عن اتصاله بالمبرد⁽²⁾ عند عبد الله بن الحسن القطريلي . ويذكر الصولي بعض الأخبار عن أبي بكر أحمد بن زهي⁽³⁾ .

ويقول الصولي عن ابن أبي طاهر⁽⁴⁾ : ((وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة ، فلما رأيته صحفياً ، لم أرَ عنده ما أريد تركته ...))
هذا كله يدل على أن أبا بكر الصولي كان مواظباً على حضور هذه المجالس وقد تجاوز العقد الثاني من عمره ... حتى يكون قادراً على استيعاب ما يُقال فيها، قادراً على الحكم على العلماء والأدباء .

والذي يؤكد لنا هذا الرأي ويدعمه ، قول الصولي في مديحته الضادية للرضي بالله⁽⁵⁾ :

وإذا دنت سبعون من متأملٍ داني ولم يرَ في اللذادة مرَضا

أساتذة الصولي

تشير المصادر العربية إلى إن أساتذة الصولي أعلام الثقافة والأدب واللغة والنحو والفقهِ والحديث في عصرهم ، تتلمذ عليهم ، وحضر مجالسهم وحلقاتهم ، ونقل عنهم وروى لهم وكان لهم الفضل الأكبر في توسيع آفاقه وتنوع ثقافته في شتى ألوان العلوم .

(1) أخبار البحتري : 49 .

(2) المصدر نفسه : 99 .

(3) أخبار الشعراء : 145 .

(4) المصدر نفسه : 210 .

(5) المصدر نفسه : 210 .

❖ فمن علماء الحديث الذين تتلمذ عليهم الصولي .

عبد الرحمن بن خلف الضبي ، المعروف بأبي رويق الضبي ⁽¹⁾ المتوفى سنة 279هـ —
والذي اشتهر برواية الحديث في بغداد .

ومحمد بن يونس البصري المشهور بأبي العباس الكديمي ⁽²⁾ المتوفى سنة 286هـ الذي
رحل من البصرة إلى بغداد ، واشتهر بأنه كان حافظاً للحديث راوياً له كما اشتهر برواية الغرائب
ومعاذ بن المثني العنبري المتوفى سنة 288هـ الذي عاش في بغداد واشتهر برواية
الحديث فترة طويلة .

وسليمان بن الأشعث المعروف بالسجستاني ⁽³⁾ المتوفى سنة 316هـ الذي يقول عنه ابن
النديم ((هو من جلة المحدثين وفقهائهم ، وله من الكتب كتاب التفسير ، وكتاب ابن أبي داود
وكتاب المصابيح في الحديث ، وكتاب المصاحف ، وكتاب نظم القرآن ، وكتاب فضائل القرآن
وكتاب شريعة التفسير ، وكتاب شريعة المقاري ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب البعث
والنشور)) ⁽⁴⁾ . كل ذلك مما يدل على غزارة علمه وفقهه ومعرفته بعلوم الدين .

❖ ومن علماء اللغة والنحو :

(1) أنباه الرواة : 234١3 ، تاريخ بغداد : 427١3 ، الأنساب : 357 .
(2) لسان الميزان : 427١5 ، أنباه الرواة : 234١3 ، تاريخ بغداد : 427١3 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 324١6
(3) مرآة الجنان : 319١2 ، لسان الميزان : 427١5 ، تاريخ بغداد : 427١3 ، الكامل في التاريخ : 324١6 .
(4) الفهرست : 324 .

أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد⁽¹⁾ المتوفى سنة 285هـ وهو إمام البصرة في العربية والنحو في عصره ، والذي يُعد ممثلاً لأرفع ما بلغته الثقافة العربية الخالصة في القرن الثالث الهجري ، وله من المؤلفات (كتاب الكامل) وكتاب (الفاضل) وغيرهما .

وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني المشهور بثعلب⁽²⁾ المتوفى سنة 291هـ وهو إمام مدرسة الكوفة في النحو و اللغة ، وهو عالم ثقة راوية للشعر القديم ، علامة بالغريب ، وضع كتباً عدة منها (الفصيح و مجالس ثعلب و قواعد الشعر) .

وهما العالمان اللذان يفخر الصولي بعلمهما وأستاذيتهما له فيقول⁽³⁾ : ((ومن جليل من رأيناه وأزماناه وأكثرنا عنه من بعد صيته ، وشهد بالعلم له ووقع الإجماع عليه اثنان :أبو العباس الأزدي ، وأبو العباس الشيباني رحمهما الله)) . كما أخذ الصولي عن أحمد بن عبد الرحمن النحوي⁽⁴⁾ .

❖ ومن الإخباريين وأصحاب النوادر :

- (1) وفيات الأعيان : 477/3 ، الكامل في التاريخ : 324/6 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 359/6 ، تاريخ بغداد : 427/3 ، الفلاحة والمفلكون : 103 ، البداية والنهاية في التاريخ : 219/11 ، مرآة الجنان : 319/2 .
- (2) مرآة الجنان : 319/2 ، لسان الميزان : 427/5 ، تاريخ بغداد : 427/3 ، الكامل في التاريخ : 324/6 ، البداية والنهاية في التاريخ : 219/11 ، أنباه الرواة : 234/3 ، الأنساب : 357 ، وفيات الأعيان : 477/3 ، المنتظم : 359/6 ، تاريخ أبي الفداء : 96/2 .
- (3) أخبار أبي تمام : 7 .
- (4) أنباه الرواة : 234/3 ، تاريخ بغداد : 427/3 ، الأنساب : 357 .

محمد بن زكريا الغلابي ، المعروف بأبي عبد الله الغلابي البصري ، الذي اشتهر بنقل الأخبار وروايتها .

ومحمد بن القاسم بن خلاد الضرير المعروف بأبي العيلاء⁽¹⁾ المتوفى سنة 283هـ — صاحب النوادر والشعر والأدب ، الذي اشتهر بأنه كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وأسرعهم جواباً وأحضرهم نادرة .

وكان الصولي يكتب كل ما يسمعه من أساتذته ويدون ما يملونه من آراء ويسجل ما يعن له من ملاحظات في كتب خاصة ، حتى تجمعت لديه مكتبة ضخمة كل كتبها من سماعه وتصنيفه وتدوينه .

لم يقف الصولي عند ما تفقه أو تعلمه من أساتذته فقط ؛ بل أنه قرأ كتب الأقدمين واطلع على تراث السالفين من الأمم المجاورة من اليونان والأترک والفرس، فنقل عن بعض ملوك اليونان⁽²⁾ كما نقل عن جالينوس⁽³⁾ وأرسطاطاليس⁽⁴⁾ إذ نجد أثر ذلك كله في كتابه (أدب الكتاب) فقد ضمنه العديد من الأقوال والحكم والمأثورات.

تلاميذ الصولي

(1) أنباه الرواة 3 : 234 ، تاريخ بغداد : 427\3 ، لسان الميزان : 427\5 ، البداية والنهاية في التاريخ : 219 \ 11 ، المنتظم : 359\6 .

(2) ج.هيوث دن - مقدمة كتاب الأوراق : قسم أخبار الشعراء : 16

(3) أخبار الرضي بالله : 147 .

(4) أدب الكتاب : 50 .

كما تتلمذ الصولي على أيدي أعلام عصره ، وتأثر بثقافتهم ، واستشهد بآرائهم ، وروى عنهم ما ذكروه وتناولوه وعليه ؛ فإن له نخبة من التلاميذ الذين شهد لهم بالعلم والثقافة والأدب وكان لهم دور فعال ومؤثر في نقل الثقافة العربية إلى الأجيال اللاحقة ، كما كان لهم الأثر في التأليف والتصنيف والرواية من بعده .

ومن العلماء الذين تتلمذوا على الصولي وأخذوا منه ، ونقلوا عنه:

علي بن الحسين الأصفهاني المعروف بأبي الفرج الأصفهاني⁽¹⁾ المتوفى سنة 356هـ —
فقد روى عنه في أغانيه ما يقرب من ثلاثمائة خبر .

ومحمد بن عبد الله بن شاذان المشهور بأبي بكر بن شاذان⁽²⁾ المتوفى سنة 376هـ وهو
الذي جمع كلام المتصوفة .

ومحمد بن عمران المشهور بأبي عبيد الله المرزباني⁽³⁾ المتوفى سنة 384هـ الذي كان
يفخر بأستاذه ويقول ((شيخنا رحمه الله))⁽⁴⁾ فنجد في كتبه - خاصة الموشح ومعجمه نقولاً كثيرة
يرونها عن الصولي .

وعلي بن عمر الدارقطني المعروف بأبي الحسن الدارقطني⁽⁵⁾ المتوفى سنة 385هـ الذي
انفرد بالإمامة في علم الحديث مدة طويلة من الزمن .

(1) تاريخ الأدب العربي : 513.

(2) أنباه الرواة : 234\3 ، الأنساب : 357 ، نزهة الألباء : 343 .

(3) وفيات الأعيان : 477\3 ، الأنساب : 357 ، الفلاحة والمفلوكون : 103 .

(4) معجم الشعراء : 465 .

(5) وفيات الأعيان : 477\3 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 360\6 ، تاريخ أبي الفداء : 96\2 .

الأمير محمد بن المقتدر بالله المتوفى سنة 329هـ - يقول عنه الصولي : ((إنه تتلمذ عليه وقرأ عليه كتباً كثيراً ...))⁽¹⁾ . ومنهم أيضاً سيف الدولة الحمداني المتوفى سنة 356هـ - أمير حلب - يقول الصولي : ((إنه كان في حدائته يلزمني ، وقد قرأ على علماء كثر ...))⁽²⁾ .

ومن تلاميذ الصولي أيضاً - قاضي بغداد - عمر بن محمد المتوفى سنة 328هـ والذي تولى القضاء لفترة طويلة ويقول عنه الصولي⁽³⁾ : ((كان تلميذاً لي ، وكنت أنا كالمربي له .. قرأ علي من كتب اللغة والأخبار ، وكتبي المصنفة ما يقارب عشرة آلاف ورقة ...)) .

ولقد تتلمذ على الصولي رجال كثيرون ذكرتهم المصادر كما ذكرهم الصولي نفسه بين ثنايا مؤلفاته من هؤلاء : أبو أحمد الفرضي (ت 366 هـ)⁽⁴⁾ وأبو الحسن بن الجندي (ت 351 هـ)⁽⁵⁾ وأبو أحمد بن الدهان (ت 361 هـ)⁽⁶⁾ وأبو عمر بن حيوية (ت 370 هـ)⁽⁷⁾ وعبيد الله بن عثمان بن يحيى (ت 373 هـ)⁽⁸⁾ .

إن الناظر في مؤلفات تلاميذ الصولي يجد أثر الصولي واضحاً وأسلوبه حاضراً ، وخير مثال على ذلك تلميذه المرزبان الذي رصع موشحه بآراء الصولي النقدية . ومثله فعل الأصفهاني في مؤلفه الأغاني .

(1) أخبار الرضي بالله : 25 .

(2) أخبار المتقي لله : 218 .

(3) أخبار الرضي بالله : 141 .

(4) الأنساب : 357 ، تاريخ بغداد : 427\2 .

(5) أنباه الرواة : 234\3 .

(6) المصدر نفسه : 235 \ 3 .

(7) الأنساب : 357 ، المنتظم : 360\6 .

(8) تاريخ بغداد : 427\3 .

منابع ثقافته

الشمول والتنوع هما الصفتان اللتان اتسمت بهما ثقافة الصولي ، ذلك أنها ثقافة موسوعية شملت جميع علوم وفنون وآداب عصره ، فهو لم يترك علماً من العلوم ، إلا ونهل منه .
بهذا كان يجاري تيار عصره الذي لا يؤمن بالتخصص في منحى خاص من مناحي العلم أو الأدب ، بل كان يحتم على المرء أن يجمع من كل بستان زهرة خصوصاً لمن كان يؤهل نفسه علمياً وأدبياً لكي يدخل قصور الخلفاء كاتباً وأديباً ومعلماً ونديماً ، ويؤهله طموحه لكي يشغل المناصب الكبرى في الدولة .

ثم نجد الصولي قد انتهج المنهج نفسه الذي كان شائعاً في عصره : ((من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن أراد أن يكون أديباً ، فليوسع في العلوم)) (1) .
لم يكن في عصر الصولي لطابع التخصص شأن ، بل إنهم كانوا يزدرون التخصص ويقبحونه ، ويعيبون أن يكرس المرء جهوده لعلم واحد أو لفن واحد ، لأنه في هذه الحالة يتصف بالقصور والجمود ، فلا بد من تنوع المعارف ((فما أفبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة ، لا يعرف إلا فناً واحداً ، حتى إذا سُئل عن غيره لم يُجَلِّ فيه)) (2)

لذا عمل الصولي على تنويع ثقافته وتلويبها ، والإلمام بكل علم وفن ظهر وشاع في عصره ، حتى صارت ثقافته شاملة لكل ما زخرت به الثقافة العربية من علوم وفنون وآداب ظهرت هذه الثقافة الشاملة المتنوعة، وبدت جلية في تأليف وتصنيف كل هذا العدد الضخم من الكتب والرسائل على اختلاف علومها وفنونها، وتنوع أغراضها ومضامينها.

(1) العقد الفريد : 423\2 ، تاريخ بغداد : 407\11 ، أنباه الرواة : 162/2 .

(2) تاريخ بغداد : 407/11 ، أنباه الرواة : 162/2 .

ذلك لأن ثقافته هذه لم تكن وقفاً على الدراسة والاستيعاب والاطلاع والإمام فحسب ، بل انعكست أيضاً على بذل العلم ونشره وتقريبه إلى الأذهان .

ألف كتابه ((الشامل في علوم القرآن))⁽¹⁾ أثناء دراسته لعلوم القرآن الكريم وذلك مساهمة منه في التعريف بهذه العلوم ونشرها ومجاراته للتيار السائد في عصره وخدمة لطلاب العلوم الدينية .

وهذا كتابه ((أدب الكتاب)) وطريقته في تحليل مواده يدل على مدى تعمقه الواسع في علوم القرآن ولغاته وألفاظه ومعانيه، فقد تضمن العديد من الشواهد القرآنية في مختلف الموضوعات.

تتلمذ الصولي على كبار أئمة الحديث ، وانتظم في حلقاتهم بالمساجد ودور العلم ، نقل عنهم وروى لهم وفسر ما رووه ، وتقول المصادر القديمة إنه ألف ((جزءاً في الحديث))⁽²⁾. من مروياته ، ويقول الصولي بأنه وضع ((كتباً في الحديث))⁽³⁾ وليس جزءاً فقط .

أما مجالس الصولي ، فقد ذكر أنه كان يجلس في أخريات أيامه في أحد مساجد واسط⁽⁴⁾ سنة 329هـ ليروي الأحاديث ويفسرها ، ولعله فعل ذلك في بغداد أيضاً بعد عودته إليها من واسط .

اكتسب الصولي ثقافته الفقهية من أعلام الفقه والتشريع الذين طالما وفد إليهم واستمع إلى آرائهم وتحليلهم لأحكام الشريعة، ثم أعمل عقله وفكره وبنى لنفسه آراء خاصة في الفقه.

(1) الفهرست : 150 ، هدية العارفين : 3812 .

(2) كشف الظنون : 588 .

(3) أخبار أبي تمام : 62 .

(4) أخبار الرضي بالله والمتقي لله : 194 .

فألف ((كتاب العبادة ⁽¹⁾)) الذي تناول فيه كل ما يتصل بالعبادة من أحكام ، كما ألف ((كتاب رمضان ⁽²⁾)) وتناول فيه فضائل الشهر الفضيل ثم أعقبه بكتاب آخر أكثر توضيحاً ، ألفه على هيئة أسئلة والإجابة عليها سماه ((سؤال وجواب رمضان ⁽³⁾)) ، تناول فيه أحكام الصيام وفوائده

كما أن القارئ لكتابه ((أدب الكتاب)) يجد فصلاً قيمة عن بعض الأمور الفقهية ، تحدث فيها عن الأموال والجزية والخراج والزكاة وأحكام الأرض ، وغير ذلك من المسائل الهامة التي تتصل بالفقه والشرع ، لكل ذلك وصف الصولي ((بالفقيه ⁽⁴⁾)) .

ونجد أيضاً أن الصولي قد رجع بثقافته إلى العصور السابقة إذ تعمق في شعر الجاهليين ودرس لغتهم ولهجاتهم ، وعرف صورهم وتشبيهاتهم ، وانعكس كل ذلك على نفسه وعلى كتاباته فنجده معجماً ضخماً يجمع فيه العديد من ألفاظ اللغة التي يتناولها مبيناً اختلافها بين القبائل حسب لهجاتها ، فكثيراً ما يتحدث عن لغة تميم ولغة قيس ⁽⁵⁾ .

أما ثقافته النحوية والصرفية: فمن اتصاله بأساتذة كبار في النحو والصرف من أمثال ثعلب والمبرد وغيرهما، وتدوينه لآراء النحويين ومناقشتهم ⁽⁶⁾ .

ولقد درس الصولي كل ما دار في العصر حول قواعد النحو وأصوله وموضوعاته وعرف رأي العلماء في مشكلاته ، واختلافهم في الآراء واتفاقهم ، وكونه نشأ وعاش في موطن

(1) الفهرست : 151 ، وفيات الأعيان : 477\3 ، هدية العارفين : 3812 .

(2) الفهرست : 151 ، هدية العارفين : 3812 .

(3) هدية العارفين : 3812 .

(4) تاريخ بغداد : 431\3 .

(5) أدب الكتاب : 178 .

(6) انظر أخبار أبي تمام : 7 .

النحو واللغة وتنقل بين مدن العراق المختلفة ، فإنه قد ألمَّ بكل ما تختلف فيه المدرسة البصرية عن الكوفية ، وهو لم يكن سلبياً يأخذ الأمور على علاتها ، بل كان له رأيه الخاص الذي يؤيد هذه المدرسة أو تلك وهو من أتباع المدرسة البغدادية التي كانت وسطاً بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة .

و لإمامه بعلم النحو ومدارسه ، قام بإعراب بعض دواوين الشعراء ، وذكر بعض ما اختلفت فيه مدارس النحو المختلفة ، حتى لقد وضعه القفطي ضمن أنباه نحاته (1) .

وليس هذا فحسب ، بل إن للصولي استقلالاً فكرياً في تفسير الظواهر اللغوية مستهدياً في ذلك بروح اللغة العربية الأصيلة ، وقد دعاه تعمقه في علوم اللغة المختلفة إلى أن يؤلف كتاباً في ((ما اتفق لفظه واختلف معناه (2))) وأن يشرح بعض دواوين الشعراء المحدثين .

ولقد كان الصولي شاعراً مجيداً ، قدم لنا قصائد رائعة ومقطعات كثيرة معظمها في المديح والغزل واعترف أدباء عصره بشاعريته ومقدرته الفنية (3) .

و كان عالماً بالشعر ، ذواقة له ، عارفاً غثه وسمينه ، فاهماً لأغراضه ومراميه ، وما غمض من معانيه ، عارفاً بقائله وطبقاتهم ومذاهبهم وأخيلتهم وصورهم ، وقد دفعه هذا الاهتمام بالشعر إلى جمع دواوين عدد كبير من الشعراء المحدثين .

(1) أنباه الرواة : 233١3 .

(2) هدية العرفين : 38١2 .

(3) معجم الشعراء : 465 .

ومعرفة الشعر وتذوقه تقتضي الحكم عليه وتقييمه ونقده ، من هنا وجدتُ للصولي آراء وأحكام نقدية رفيعة ، ولاشك أن الصولي اكتسب أصولها من دراسته لقوانين النقد الموضوعية وأحكام النقاد القدامى والمعاصرين .

أما في مجال الشعر ونقده فنجد الصولي متبعاً للأصول والقواعد التي اتبعتها النقاد في عصره ، إلا أننا سنجد له آراء خاصة في الشعر وأحكاماً على الشعراء ، و نرى أثرها في تعليقاته وتحليله لعناصر الجمال والذوق في الشعر وفي الحكم على الشعراء من حيث التوفيق في معانيهم وألفاظهم ، نجد من هذه الآراء و الأحكام نماذج رائعة في كتابيه ((أخبار أبي تمام و أخبار البحري)) وسوف تعرض هذه الدراسة لجهود الصولي النقدية بشكل مفصل في الفصلين الرابع و الخامس.

لم يضع الصولي كتاباً في النقد يبرز آراءه النقدية ، ولكن من تحليله لشعر الشعراء ومعانيهم ، ومقارناته بين أغراض الشعر القديم والحديث ، وحديثه عن السرقات ، وتوثيقه للشعر وإرجاعه إلى أصحابه الحقيقيين ، والحكم بين الشاعرين المتخاصمين المتنافسين ، إثبات أحقية أحدهما في المعنى ، وتأليف المختارات ، من كل ذلك وغيره - فيما ستعرض له الدراسة في الفصول اللاحقة - نستطيع أن نلمس الصولي الناقد الذواقة ، ونحس مدى ثقافته النقدية العريضة فيبرز لنا الصولي كأحد أئمة النقد الأدبي في عصره .

فهذا تلميذه المرزباني قد أكثر من الرواية عنه ، واستشهد بآرائه في نقد الشعر ، حتى إنه قلما يوجد شاعر في الموشح - تناوله المرزباني بالنقد والتحليل - إلا وقد استعان بآراء الصولي

فيه ، وكذلك الأصفهاني في أغانيه ضمن العديد من آراء الصولي في الشعر والشعراء ونقل عنه أخبارهم ومكانتهم ومرتبته .

وإذا انتقلنا إلى ثقافة الصولي الديوانية - تلك الثقافة التي تتصل اتصالاً مباشراً بعمله في قصور الحلفاء ، وكتابته لهم وقراءته عليهم - وجدنا أنها الثقافة الرفيعة التي جعلته في الذروة وأكسبته شهرة واسعة بلغت الأفاق ، وقد تمثلت هذه الثقافة ووضحت في كتابه (أدب الكتاب)⁽¹⁾ ذلك الكتاب الذي ألفه الصولي ليكون نبزاً وهدياً لمن يريدون أن يسلكوا طريق الكتابة ويتعيشوا من ثمار أعلامهم في دواوين الحكومة وقصور الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة .

جمع الصولي في كتابه هذا خلاصة فكره وتجاربه وثقافته ، تلك الثقافة التي اكتسبها طيلة نصف قرن أو أكثر ، عاشها في رحاب الخلفاء وانخرطه في سلوكهم وعمله في دواوينهم ، وكتابة الرسائل لهم وإليهم ، فجاء هذا الكتاب خير دليل على ثقافته الديوانية الواسعة التي قدمته على كتاب عصره ، حتى ارتبط اسم الصولي بكتابه (أدب الكتاب) كما ارتبط (أدب الكتاب) بالصولي الكاتب .

ولم يجعل الصولي هذه الثقافة الديوانية حكراً ، بل نشرها حتى تكون مساهمته في مجالات المعرفة وفنونها شاملة واسعة ، خصوصاً لمن يؤهلون أنفسهم للعمل الرسمي . ولاشك أن الذي ساعد على تغذية ثقافة الصولي وتدعيمها واستمرار جريانها ونضوجها وتمشيها مع تطورات العصر وظروفه هي **مكتبته الضخمة** ، التي زخرت بمواد عديدة من الثقافات والعلوم والآداب والفنون ودواوين الشعراء .

(1) الفهرست : 151 ، وفيات الأعيان : 477\3 ، الكامل في التاريخ : 324\6 ، كشف الظنون : 48 ، هدية العارفين : 39\2 .

يقول أبو بكر بن شاذان ⁽¹⁾: ((رأيت للصولي بيتاً عظيماً مملوءاً بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صنف من الكتب لون ، فصنف أحمر ، وصنف أخضر ، وصنف أصفر وغير ذلك)) .

هذه هي ثقافة الصولي - وهي كما نرى ثقافة موسوعية متنوعة ، مكنته من أن يكون من أوسع أهل عصره معرفة وأغزرهم علماً .

مصادر روايته

حفظ الشعر العربي معارف العرب وأقوالهم ، وأيامهم وفضائلهم فمن سعى لمعرفة شيء من ذلك ، تحتم عليه أن ينظر أولاً في أشعارهم .

عرّف علماء عصر الصولي وأدباؤه هذه الحقيقة ، فنرى الجاحظ (ت 255هـ) يقول : ((فكل أمة تعتمد على استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها)) .⁽²⁾

ويقول ابن قتيبة (ت سنة 276هـ) عن الشعر: ((الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ومستودع أيامها والصور المضروب حول مآثرها ، والخندق المحجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام)) .⁽³⁾

(1) أنباه الرواة : 235١3 ، تاريخ بغداد : 431١3 .

(2) الحيوان : 71١١ .

(3) عيون الأخبار : 185١2 .

ومن هنا كانت أهمية الشعر، وكان الاهتمام بحفظه وروايته، وهي أهمية ترشدنا إلى حقيقة واضحة: أن من يهتم برواية شعر العرب يجب عليه أن يعرف أخبارهم، وأن من يسعى وراء معرفة أخبار العرب يجب عليه أن ينظر في أشعارهم.

وهكذا ارتبط البحث عن الشعر العربي والسعي وراء الأخبار برابط واحد لا انفصام فيه فهما هدفان الطريق إليهما واحد، فإذا ما سار عالم واع أدرك الهدفين معاً.

وعى الصولي هذه الحقيقة وعرفها وأدرك مغزاها ، اعترف بذلك المؤرخون له جميعاً فقالوا : ((كان عالماً بفنون الآداب والأخبار ، جيد الحفظ واسع الرواية))⁽¹⁾.

ولقد كان لاجتماع هذين الأمرين - حفظه للشعر وأغراضه ومراميه ، ومعرفته بأخبار رواه وقائليه ، أثر كبير واضح في ثقافته وعلمه ، وتذوقه للشعر ، دفعاه إلى العناية بهما وروايتهما ، فوجد أمامه تراثاً ضخماً وأخباراً لا حصر لها ، فكان أن ألف العديد من أخبار الشعراء ، وروى عنهم وعن غيرهم وجمع دواوين الفحول منهم .

فإذا عرفنا أن كل ما في بيئته كان يدعو إلى البحث والنظر والشغف بالأخبار ورواية الأشعار ، وأن مدينته - بغداد - كانت قبلة الأدباء والعلماء والرواة والإخباريين ، وأن التيارات التي حوله كانت تجذبه جذباً إلى الاطلاع والمعرفة ، أيقنا أن كل هذه العوامل دفعت الصولي إلى تقصي الأخبار والأشعار ومعرفة أصلها ومصادرها وحفظها وروايتها .

(1) الكامل في التاريخ : 324\6 ، البداية والنهاية : 219\11 ، لسان الميزان : 427\5 .

فبرز الصولي - في عصره - راوية إخبارياً ، شهد بذلك كل المؤرخين وأجمع عليه كل مترجميه .

عني الصولي برواية الشعر منذ عصوره الأولى حتى عصره ، فقد روى الكثير من أبياته ومقطعاته ، وشرح معانيها ومضامينها ، واهتم أساساً بالأبيات التي أثير حولها الخلاف سواء من حيث المعاني أو التشبيهات ، أو فصاحة الألفاظ ودلالاتها ، فنجد في المصادر الأدبية القديمة - وفي كتبه - كثيراً من رواياته ونظراته الثاقبة في الشعر ومعانيه والشعراء وطبقاتهم ، وخير مثال على ذلك كتاب أخبار أبي تمام وكتاب أخبار البحتري .

أما قائمة الشعراء الذين روى لهم الصولي ففيها عدة حقائق :

1- إن القسط الأكبر من عناية الصولي كان موجهاً إلى الشعراء المحدثين خاصة شعراء عصره الذين عاش معهم وتردد على حلقاتهم ، وعاصروهم وعرف أخبارهم ، مثل البحتري وابن الرومي ، وابن المعتز ، ومن سبقهم مثل بشار وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وإبراهيم بن العباس ، ودعبل الخزاعي والعباس بن الأحنف ، وأبي تمام وابن أبي عيينة وغيرهم .

2- لم يهتم الصولي كثيراً بشعراء بني أمية ، فلم يبرز منهم عنده سوى الفرزدق أما جرير والأخطل ، فلم يرو لهم سوى أبيات قليلة في مناسبات مختلفة . ذلك لأنه من أنصار العباسيين ولأنه يرى بالفرزدق شبيهاً كبيراً لأبي تمام في صياغة الشعر وصناعته .

3- انصب اهتمام الصولي بالشعر الجاهلي على الفحول مثل امرئ القيس وطرفة ابن العبد وزهير وعنترة والنابغة وغيرهم ، فقد روى لهم أبياتاً في مناسبات معينة ، ووازن بين معنى ومعنى ، وتشبيهه وتشبيهه ، ولفظ و لفظ .

ويمكن القول إن الصولي لم يترك شاعراً من الشعراء السابقين أو المعاصرين إلا روى له وإذا كان الصولي قد اهتم كثيراً بالشعراء المحدثين ، فإن ذلك كان اهتماماً بالتجديد من ناحية واهتماماً بالجودة الفنية وما استحدثه هؤلاء الشعراء في فن الشعر ومعانيه وتشبيهاته وألفاظه وهذا إلى جانب سهولة توثيق شعرهم والوصول إلى مصادره الحقيقية ، للتأكد من صدق الرواية وصحة نسبته إليهم وسهولة الاتصال برواة عاصروهم وسمعوا منهم .

منهج الصولي في الرواية

ويستطيع الباحث أن يحدد منهج الصولي في الرواية في العناصر الآتية :

❖ إن روايته لا بد أن تتصل بأسانيد أناس معروفين ، مشهود لهم بالصدق والأمانة الأدبية ، أما من وجدهم غير ذلك ، فإنه يرفض روايتهم حتى ولو كانت صحيحة فكان يحرص على ذكر سلسلة إسناد كاملة ، لأنه يعلم تماماً أن درجة الثقة في روايته إنما تتوقف - إلى جانب صحتها - على معرفة أسماء رواته ، إلا أنه كان أحياناً يهمل السند بقصد التخفيف والتسهيل على القارئ . غير أن ذلك لم يحدث إلا في كتابه التعليمي (أدب الكتاب) الذي توخى فيه توصيل مادته الأدبية إلى أذهان قارئيه بسهولة ويسر .

❖ إنه لا يأخذ عن الصحفي - الذي يأخذ العلم من الصحف لا عن أساتذة علماء وهو نفسه يحدثنا عن ذلك فيقول : إنه رفض الأخبار التي نسبها ابن أبي طاهر إلى المأمون وأحمد بن يوسف ، رفضها لأن روايتها - في رأيه - غير ثقة ، بل إنه جرح ابن أبي طاهر

ووصفه بأنه : ((صحفي ،حاطب ليل، يشترط في كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتي بالردئ ، ويزعم

أنه يقلل فيحسن ، ويكثر فيسيء ، ثم يحكي الكذب ويخطئ في التاريخ وفي نسب الشعر⁽¹⁾)) .

❖ إنه لا يروي إلا الجديد الذي لا يعرفه الناس، حتى يكون لأخباره صفة الجدة

والتشويق، فنراه يذكر من شعر الشعراء ما لا يعرفه الناس⁽²⁾ ...كما يرفض دائماً أن يؤلف فيما

ألف فيه من قبل ، أو تناوله غيره فهو حين شرع في عمل أخبار جرير ، علم أن هناك من يقوم

بهذا العمل ، فأعرض عنه ولم يكمله، كذلك حين ألف أخبار الفرزدق لم يأت بشيء مما جاء في

النقائض ، أو ذكره غيره إلا ما اتصل بنسبه أو أزواجه فقط .

❖ إنه لا يروي ما سهل عليه طلبه وقرب منه وجوده⁽³⁾ ، وتأكد من صدقه

ووصلت به الأمانة الأدبية أن لا يدعي علم ما يجهله ، بل كثيراً ما يذكر صراحة عدم معرفته

بخبر ما ويقول : ((ولا أدري كيف صحته⁽⁴⁾)) .

❖ إن الصولي يتحرى الدقة في روايته للأقوال بألفاظها ، فإن لم يستطع أن ينقل

الألفاظ حرفياً قال: ((وما حكيت من ألفاظه التي مرت ، وما أحكيه من كلامه بعد ، فهو كما أحكيه

أو شبهه أو مقارب له ، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وأنا أحفظ معناه⁽⁵⁾)) .

(1) الأوراق - أخبار الشعراء : 210 .

(2) أخبار أبي تمام . : 10 .

(3) أخبار الشعراء : 143 .

(4) أدب الكتاب : 46 .

(5) أخبار الراضي بالله : 18 .

الباب الثاني :

نتاج الصولي ومنهجه في التأليف

❖ مؤلفات الصولي الإخبارية .

❖ مجموعة الكتب الأدبية واللغوية .

❖ منهج الصولي في التأليف .

مؤلفات الصولي

الصولي نموذج فذ من النماذج التي تمثل ثقافة عصره - بكل ما فيه - أصدق تمثيل ذلك أنه ألم بألوان الثقافة العربية على اختلاف مناحيها واتجاهاتها ، ووقف وقوفاً طويلاً على بعض الثقافات الأجنبية الوافدة والداخلية في محيط الفكر العربي الإسلامي والحياة الثقافية آنذاك . وانعكست هذه الثقافة على حياته التي امتازت بنشاط علمي ضخم ، وضح في كثرة مؤلفاته ومصنفاته ، فقد ذكرت المصادر الأدبية القديمة التي ترجمت له وأرخت لحياته أن ((له كتباً كثيرة هائلة)) (1) .

ولقد ساعد الصولي على القيام بهذا المجهود الضخم ، سعة ثقافته وغازارة علمه الذي تحدث مؤرخوه عنه طويلاً ، فقالوا : ((كان أحد العلماء البارزين بفنون الأدب ، وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ، ومآثر الأشراف ، وكان واسع الرواية ، جيد الحفظ ، حاذقاً بتصنيف الكتب)) (2) ووصفوه بأنه الكاتب ، والأديب ، الإخباري ، العلامة ...

إن الصولي مشهود له من الجميع بسعة الأفق ، وغازارة العلم ، وحسن المعرفة بالأخبار وكثرة التأليف والتصانيف .

ومن خلال ما كتبه الصولي عن نفسه أو عن غيره ، نستطيع أن نعرف أنه ثقف جميع معارف وفنون عصره ، وأدلى بدلوه فيها جميعاً فجاءت مؤلفاته ومصنفاته شاملة لجميع هذه المعارف .

(1) الكامل في التاريخ : 324\6 ، البداية والنهاية في التاريخ : 219\11 .

(2) الكامل في التاريخ : 324\6 ، البداية والنهاية في التاريخ : 219\11 ، الأنساب : 357 ، وانظر وفيات الأعيان 477\3 ، شذرات الذهب : 339\2 ، مروج الذهب : 15\1 .

مؤلفات الصولي الإخبارية

كتاب الأوراق ... يقول عنه ابن النديم : (1)

((إن الصولي لم يتمه ، والذي خرج منه أخبار الخلفاء بأسرهم ، وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام ابن المعتز ، وأشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه وأول ذلك : شعر عبد الله بن علي .. وآخره شعر أبي أحمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، ويتلو ذلك أشعار الطالبين ولد الحسن والحسين وولد العباس ابن علي وولد عمر بن علي ، وولد جعفر بن أبي طالب ، ثم تلى ذلك أشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده أخبار ابن هرمة الشاعر ومختار شعره ، وأخبار السيد الحميري ومختار شعره وأخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره ، وأخبار سديف ومختاره ...)) .

ومن كلام ابن النديم وغيره من المؤرخين، يتضح لنا أن كتاب الأوراق يشتمل على عدة أقسام، بعضها تاريخية سياسية، تلك التي تتعلق بالخلفاء وأخبارهم ووزرائهم وقوادهم وظروف عصورهم، وما حدث في عهودهم.

وبعضها الآخر تاريخية أدبية، وتراجم لعدد من الشعراء، سواء أكانوا أمراء أم غير ذلك مع إضافة مختارات من إنتاجهم الفني.

إن الصولي لم يجعل تاريخه للدولة العباسية أو لخلفائها تأريخاً صرفاً ، بل أضاف إليه الكثير من اللوحات النفسية والإخبارية العامة والخاصة كما أدخل فيه عنصر الأدب ، فضمنه كثيراً من شعره ومدائحه في الرضي بالله وأيضاً سجل فيه قصائد الرضي في مختلف المناسبات .

(1) الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 201 ، 283 ، معجم الأدياء : 109\19 ، وفيات الأعيان : 479\3 .

وللصولي العديد من المؤلفات أذكر منها ((كتاب الوزراء ⁽¹⁾ ، أخبار القرامطة ⁽²⁾ كتاب مناقب علي بن الفرات ⁽³⁾ ، أخبار الشعراء ، أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم ⁽⁴⁾ وأغلب هذه الكتب من المفقودات)) .

ومن أهم كتب الأخبار الموجودة (كتاب أخبار أبي تمام ⁽⁵⁾) ؛ لما له من قيمة فنية ضخمة ففيه أخبار كثيرة ونظرات نقدية صائبة انفرد الصولي بها ، فقدم لنا من خلالها معلومات وآراء وأخباراً ذات قيمة عظيمة تجلّى جوانب مهمة من حياة أبي تمام وشعره وثقافته ومقدرته الفنية وعلاقاته مع غيره من الشعراء والممدوحين والنفاد .

وكتاب أخبار أبي تمام يعد من أمّات الكتب التي أرخت لأولية الصراع الناشئ بين مذهبي الصنعة والطبع ، كما أن فيه أخباراً كثيرة انفرد الصولي بذكرها ، وأبياتاً من الشعر لم ترد في دواوين أصحابها ⁽⁶⁾ .

(1) الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 1469 ، وفيات الأعيان : 477\3 ، الكامل في التاريخ : 324\6 ، هدية العارفين : 38 \2 .

(2) وفيات الأعيان : 477\3 ، الكامل في التاريخ : 324\6 ، الأعلام : 418 .

(3) الفهرست : 150 ، هدية العارفين : 38 \2 .

(4) الفهرست : 150 .

(5) الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 1469 ، وفيات الأعيان : 477\3 ، الكامل في التاريخ : 324\6 ، هدية العارفين : 38 \2 .

(6) الأستاذ أحمد أمين . مقدمة كتاب أخبار أبي تمام للصولي .

ومن أهم الكتب التي قام بتأليفها الصولي أيضا كتاب أخبار البحتري إذ ألقى لنا الصولي من خلاله الضوء على الحياة الأدبية والنقدية المعاصرة له ، فنرى الصولي يؤرخ لمعارك النقد الكبرى التي قامت بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري ، التي أصبح النقد معها منهجياً عند العرب (1) .

وللصولي من كتب الأخبار أيضاً : ((أخبار إبراهيم بن المهدي (2) ، أخبار الشعراء (3) أخبار أبي نواس (4))) .

الكتب الأدبية واللغوية

أدب الكتاب (5)

كتاب صغير الحجم ألفه الصولي في عهد الرضي بالله (6)، ويحتوي على معلومات جمة ومباحث ومواد لغوية وأدبية تفيد الكاتبين وتعينهم على أداء عملهم في الدواوين ، وتمدهم بالعديد من ألوان الثقافة الإسلامية العربية والدينية ، وقد شاع هذا النوع من الأدب شيوعاً كبيراً في عصر الصولي وما بعده وسبقه أدباء آخرون ألفوا للكتاب رسائل وكتباً .

(1) النقد المنهجي عند العرب : 130 .

(2) الأعلام : 418 .

(3) كشف الظنون : 27 ، هدية العارفين : 3812 .

(4) كشف الظنون : 774 .

(5) الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 1469 ، وفيات الأعيان : 47713 ، الكامل في التاريخ : 32416 ، هدية العارفين : 3812 .

(6) يدل على ذلك كلام الصولي نفسه في فصل ما يتكاتب به الناس اليوم ص 163 ، وفصل الحض على التكاثر ص 166 .

رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك

رسالة أدبية نقدية بليغة ، ألفها الصولي في فضل أبي تمام وشعره ، وقدم بها لعمله المتكامل الذي يتصل بأبي تمام ، وقد جمع أخباره ثم قدم لنا ديوانه مرتباً على الحروف الهجائية ، ثم شرح هذا الديوان ، تحدث فيها عن أعراض الشعر وفنونه وقارن بين الأغراض القديمة عند الجاهليين ثم عند المحدثين ، تحدث عن الألفاظ والمعاني والتشبيهات ثم انبرى للدفاع عن أبي تمام فذكر ما عابه النقاد عليه ثم فند مزاعمهم وتعرض بالتحليل لمذهبي الصنعة والطبع وقانون السرقات وما تواضع عليه القوم (1) .

منهج الصولي في التأليف

رأينا مؤلفات الصولي ومصنفاته ، وهي كثيرة متنوعة وفي مجالات شتى ومنها نعرف أن الصولي كان موسوعة علمية تمثل أرقى معاني الثقافة وأشمل آثارها في عصره ، ومن خلال هذه المؤلفات والمصنفات ، نستطيع أن نحدد المنهج الذي اتبعه الصولي في إخراجها : ذلك المنهج الذي يمكن أن يتلخص في العناصر الآتية :

❖ التعويل على الروايات

عول الصولي كثيراً على الروايات ، فقد اعتمد على رواية الرواة في أكثر ما دونه عن الشعراء والوزراء والكتاب وغيرهم - خصوصاً عن أولئك الذين لم يعاصرهم - وعند الصولي لا بد أن يكون الراوي ثقة مشهوداً له بين معاصريه بالأمانة والصدق ، لذلك رفض الصولي أن

(1) رسالة الصولي إلى مزاحم - أخبار أبي تمام : 5 .

يأخذ عن أصحاب الصحف ، ولم يعتد إلا بما سمعه من أفواه الرجال⁽¹⁾ وفي جميع الأحوال لا بد أن يستقصي الأخبار ويتأكد من صحتها .

وكثيراً ما يدلي الصولي بآرائه حول روايته خبراً ما ، وقد يرجح رواية على أخرى أو يذكر الروايات المتعددة للخبر الواحد ، مثل روايته في ذكر حديث بين رسول الله عليه السلام وصهيب⁽²⁾ ، وقد يضيف إلى الرواية تعليقاً من عنده ، أو يوضح أمراً ورد فيها ، فيقول : (قال أبو بكر) أو (قال الصولي) ثم يذكر تعليقه .. والأمثلة على ذلك متعددة في كتبه .

❖ الحرص على ذكر سلسلة الإسناد

كان الصولي دائماً يحرص على ذكر سند رواياته موصولاً إلى صاحبه ، تماماً مثلما كان يفعل علماء الحديث فيقول : حدثني فلان قال حدثني فلان ... عن فلان أنه قال⁽³⁾... أو يقول : حدثني بعض من يخبر الأمر⁽⁴⁾ أو حدثني من أثق به⁽⁵⁾ أو أنشدني يوماً فلان⁽⁶⁾ ، أو كنا يوماً عند فلان ... فسمعت⁽⁷⁾ .. وإذا اشترك معه في السماع آخرون ، قال : حدثنا فلان ... وذكر السند إلى مصدره الأول .

وحرص الصولي على السند المتصل في الرواية المأخوذ من أفواه الرجال الثقات ، لم يمنع من أنه اعتمد في بعض الأحيان على النقل من كتب أو مخطوطات أو رسائل مكتوبة بخط

(1) أدب الكتاب : 46 .

(2) أخبار المنقي لله : 216 .

(3) أخبار الشعراء : 166 .

(4) أخبار الراضي : 192 .

(5) المصدر نفسه : 193 .

(6) المصدر نفسه : 60 .

(7) المصدر نفسه . 61

رجل ثقة يعرفه تمام المعرفة ، فنراه يذكر ذلك فيقول : وجدت بخط فلان ⁽¹⁾ أو رأيت بخط فلان أو كتب إليّ كاتب له ⁽²⁾ .

والسند قد يقل عند الصولي ، أو لا يذكر في الأحداث أو المناسبات التي رآها بنفسه وسمع ما فيها ، وقد يحذفه في بعض الأحوال بقصد التخفيف والتسهيل على القارئ ، مثلما فعل في كتابه ((أدب الكتّاب)) .

❖ إضافة الآراء الشخصية

كان الصولي دائماً وفي كل مؤلف من مؤلفاته حريصاً على ذكر آرائه الشخصية ، فيما يراه من أحداث ، أو فيما يكتبه عن الشاعر أو الكاتب .

أما تأريخ الصولي للأدب ، وتناوله لتراجم الشعراء ، فقد كان يحرص دائماً على ذكر آرائه في الشعراء وفي إنتاجهم الفني ، كتفضيل شاعر ، أو معنى على معنى وينتقد هذا الشاعر لأن معناه اختل ، أو لأنه أخذ معنى أو لفظاً من غيره .

وقد يصف شاعراً بأنه مُقل أو مطبوع ، وفي المقارنة بين شاعرين ينسب الشعر إلى أحدهما لأنه أجاد في المعنى وأبلغ في التعبير .

(1) أخبار الشعراء : 156 .

(2) المصدر نفسه : 214 .

الفصل الثالث

الباب الأول

منهج الصولي النقدي وآراؤه النقدية

- ❖ المقارنات .
- ❖ السرقات.
- ❖ سرقات البحري من أبي تمام .
- ❖ موقفه من اللفظ والمعنى.
- ❖ موقفه من الشعر وعلاقته بالدين .

التمهيد :

ناقش أبو بكر الصولي عدداً من القضايا النقدية ، وقد وجدنا هذه القضايا ماثورة في ثنايا

مؤلفاته وخاصة في كتابي ((أخبار أبي تمام وأخبار البحتري)) ويمكن أن نجملها بما يلي :

المقارنات . السرقات . سرقات البحتري من أبي تمام ، موقفه من اللفظ والمعنى .

موقفه من الشعر وعلاقته بالدين .

وستناقش الدراسة في هذا الفصل كلاً من هذه القضايا بشيء من التفصيل ، إذ ستوضح الدراسة

نص المنهج النقدي عند أبي بكر الصولي في هذه القضايا موضحة جهوده النقدية الخاصة وتأثره

بمن سبقه من النقاد ، وماذا أضاف أبو بكر الصولي إليهم بشكل خاص وللعملية النقدية بشكل

عام .

والجدير بالذكر أنه منذ نشأة الشعر العربي قامت مقارنات وموازنات فطرية كثيرة

تفضل شاعراً على شاعر أو معنى على معنى ، أو لفظاً على لفظ ، ثم تطورت هذه المقارنات

والموازنات ووضحت ونضجت مع مرور الزمن وتعاقب العصور ، حتى إذا وصلنا إلى عصر

الصولي ظهر فيها أثر العصر والثقافة والحضارة ، وتأثير ذلك كله في الذوق والفهم والتقدير

والحكم .

ففي عصر الصولي تعمق الناس في تذوق الأدب وفهمه وتحليله ، فوازنوا بين شاعر

وشاعر ، وشعر وشعر ، ومعنى ومعنى ... بل ولفظ وآخر ... فكان النقد في عصره أكثر تعمقاً

وأحسن حكماً من العصور التي سبقتة بتأثير الحضارة وتفتق القريحة العربية ونضوج عقليتها

وتأثرها بما داخلها من ثقافات، وما ارتبط بذلك من تطور للحضارة وارتفاع لمستوى الحياة الثقافية والفكرية.

وإذا كان الأدب يخضع للبيئة والثقافة ، ونوع الحكم ، وظروف الدولة ، فإن النقد من الطبيعي أن يتطور بحيث يتلاءم مع الأدب في كل ظروفه ، وما يخضع له من مؤثرات ثقافية واجتماعية .

ولقد قامت قبل عصر الصولي معارك أدبية ونقدية كثيرة ، ولكن هذه المعارك وصلت أشدها في عصر الصولي وما تلاه ، ولم يكن من الطبيعي أن يعيش الصولي في هذه المعارك دون أن يشارك فيها ، خاصة وأن شيوخه وأساتذته من أمثال المبرد وثلعب وغيرهما كان لهم مساهمتهم فيها ، والمشاركة في رحاها ، كما أن بعض علماء عصره من أمثال الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وقدامة بن جعفر والآمدي أدلوا بأرائهم وتناولوها في كتبهم ومؤلفاتهم ، فزادوا في إشعال هذه المعارك النقدية حول الشعر والشعراء ، فنرى الصولي يدخل في رحى هذه المعارك مثبتاً وجوده وجهوده وآراءه فيها .

وليس من السهل أن نتلمس منحى الصولي في النقد ، وطريقته في فهم النصوص وتدقيقها والحكم عليها لأن الصولي لم يؤلف في النقد كتاباً خاصاً كما فعل علماء عصره ، ولكن نلتمس ذلك من خلال ما تناوله في مؤلفاته ومصنفاته التي تناول فيها تراجم الشعراء وأخبارهم ومختاراتهم الشعرية ، وأيضاً من خلال رسائله الأدبية حول الشعراء ومكانتهم وشاعريتهم وكذلك من خلال كتب النقد والأدب والموازنة التي ألقت في عصره وبعده ، وتناولت آراء الصولي ونظراته النقدية في الشعر والشعراء ، وأدب الأدباء من أمثال الموشح وزهر الآداب

وغيرهما يمكن أن نقف على جهود الصولي النقدية وطريقته في فهم النصوص وتذوقها والحكم عليها .

ظهر منحى الصولي في النقد الأدبي من خلال آرائه ونظراته ، وما تناوله بالتحليل والتقييم من شعر الشعراء على اختلاف عصورهم وشاعريتهم ، ومقدرتهم الفنية ، ومذهبهم الشعري .

لم يؤلف الصولي في النقد كتاباً خاصاً ، ولم يضع له ضوابط ومعايير شأن غيره من النقاد المعاصرين ، فلم يتناول النقد من الناحية النظرية كما فعل ابن قتيبة ، ولم يضع الشعراء في طبقات كما فعل ابن سلام والجاحظ⁽¹⁾ وابن المعتز ... بل تناول الصولي النقد من الناحية التطبيقية العملية من واقع الشعر وفنونه ، وأغراضه ومعانيه وألفاظه ، وإن كنا نجد بعض الآراء النظرية في بعض نواحي النقد .

يقوم نقد الصولي أساساً على تحليل الشعر وتبيين مواطن الجمال والقبح ، والجودة والرداءة وعقد المقارنات بين الشعراء ومعانيهم وأغراضهم ، وتحليل عيوبهم وسقطاتهم ، كما يقوم أيضاً على عرض سرقات الشعراء من بعضهم بعض ، وإرجاع المعاني إلى أصحابها محدداً من التابع ومن المتبوع ، ومن منهما أحق بالمعنى .

ويتجلى نقد الصولي في تناوله أخبار المحدثين وأشعارهم وتجديدهم ، ومذهبهم الفني وألفاظهم وأساليبهم وصورهم وأخيلتهم وتشبيهاتهم ، متخذاً من أبي تمام وسيلة ورمزاً في الدفاع عنهم .

(1) يقول الجاحظ : ((طبقات الشعراء ثلاثة : شاعر وشويعر وشعرور ...)) البيان والتبيين : 211 .

وكثيراً ما يتناول الصولي بالنقد العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وطريقة التعبير ، ونجاح الشاعر في توصيل رؤاه ، وأيضاً نجاحه في أن يكيف ألفاظه تبعاً لمعانيه وأغراض الشعر التي يتناولها ، فيتحدث عن وجوب ائتلاف اللفظ مع معناه . فالفخر مثلاً يناسبه الألفاظ الجزلة التي تملأ الفم ، ذات الجرس القوي ، والغزل يناسبه الألفاظ الرقيقة الناعمة ، والرثاء يناسبه الألفاظ ذات الموسيقى الهادئة التي تتم عن الحزن والألم .

ويرى الصولي أن المعاني الجيدة التي يأتي بها الشعراء ، لا بد وأن تأتي من واقع تجربتهم الإنسانية وما صادفوه في الحياة .

1- المقارنات

تأتي أهمية المقارنات كقضية نقدية، من حقيقة أن ما من قارئٍ للشعر إلا ويقوم بعملية المفاضلة والمقارنة بين ما يقرؤه وبين ما تختزنه ذاكرته الأدبية، بالإضافة إلى كونها من القضايا الأدبية التي امتاز بها النقد العربي القديم، فأخذت مكاناً بارزاً فيه، إذ تشير المؤلفات النقدية القديمة وكتب تأريخ الأدب العربي، إلى أن البدايات الأولى للنقد الأدبي عند العرب، نشأت كموازنات أدبية عفوية بين الشعراء، ولعلها كانت انعكاساً لظواهر العصبية في نظامهم الاجتماعي، إذ إنهم كما نعلم، كانوا يتفاخرون بشعرائهم، ويتفائلون بولادة الشاعر في قبائلهم. فأسواق الشعر كانت تُعقد بها تلك المقارنات، والمؤلفات النقدية القديمة كانت تزخر بها، مثل كتب الطبقات، والمنحبات والموازنة بين الشعراء .

وقد أذكت نار المقارنات تلك، قضايا ذات أهمية في النقد، منها ظهور شعراء النقائص وظهور الشعراء المجددين، وبزوغ المعارك النقدية، مثل المعركة التي دارت حول إرجاع الجودة للفظ أم للمعنى، وبين أنصار الطبع والصنعة، أو بين أصحاب عمود الشعر ومذهب البديع، وتعدُّ الموازنة، وهي جزء من منهج المفاضلة بين الشعراء، الشكل التطبيقي للنقد الذي يهدف إلى التقويم والحكم على أعمال النقاد، وما يُميّز هذه القضية أن أكثر النقاد في التاريخ العربي قد وازنوا بين الشعراء، وهذا ما أدى بموازناتهم التي كانت تعتمد معايير نوقية، لأن تذهب باتجاه التعليل.

ومن أهم النقاد الذين قاموا بالموازنات في كتبهم النقدية، محمد بن سلام الجمحي إذ يعد أسبق من عرضوا للموازنة في كتابه طبقات فحول الشعراء ، إذ جعله هؤلاء الشعراء طبقات قام على الموازنة الفنية .

و جاء ابن قتيبة في كتابه الشعر و الشعراء فظهرت الموازنة عنده في اختياره لكل شاعر ما يراه جيداً و في تقسيمه الشعر أقساماً فنية أربعة ، و الشعراء إلى مطبوعين و متكلفين وفي غير ذلك .

ويُشكّل «الأمدي» علامة واضحة في اهتمام النقاد بقضية الموازنة بين الشعراء، ولاسيما أن كتابه النقدي حمل اسم «الموازنة بين الطائيين»، ومن جانب آخر، فقد حاول أن يضع منهجاً للموازنة بين «أبي تمام والبحتري»، وقد كان منهج «الأمدي» في موازنته بين «أبي تمام والبحتري» معتمداً بشكل رئيس، على تصنيف كل ما قالاه في معنى من المعاني، ثم إصدار الحكم.

أما «القاضي الجرجاني» فهو يعتمد مبدأ المقايسة في مقارناته بين «المتنبي» وغيره من الشعراء.

تناول «أبو بكر الصولي» هذه القضية في كتاب أخبار أبي تمام و كتاب أخبار البحتري وتلك الموازنة تضع أبا تمام على قمة الهرم الشعري في عصره . إذ يمتاز نقد الصولي بكثرة المقارنات ، وهو ما يمكن أن يسمى بالنقد التطبيقي العملي .

ويمكن القول إن المقارنات عند الصولي تتسم بالسّمات الفنيّة الآتية :

أولاً : يقارن بين مجموعة من الشعراء من عصر واحد، تناولوا الموضوع نفسه ويبين أيهم أجاد فيه و أيهم اختلف.

(أ) - فيقارن بين قول طرفة بن العبد وحسان بن ثابت وعترة العبسي وزهير بن أبي سلمى حول موضوع ارتبط في الجاهلية بالكرم والشجاعة وهو ((موضوع الشرب)) يتناول الصولي قول طرفة (1) :

سُدُّ غَيْلٍ فَإِذَا مَا شَرِبُوا وَهَبُوا كُلَّ أُمُونٍ وَطَمْرٍ (2)

فيقول: ((فجعل عطاءهم عند الشرب)) وتبعه حسان بن ثابت فقال: وهو أعيب من الأول :

نُؤَلِّيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَا إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءٌ (3)

وَنَشْرِبُهَا فَتَرْكُنَا مَلُوكًا وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ

فقول طرفة خير من هذا لأنه قال ((أسد غيل فإذا ما شربوا ...)) فجعل لهم الشجاعة قبل الشرب، وحسان قال: نشرب فنشجع، ونهب كأننا ملوك إذا شربنا فلهذا كان قول طرفة أجود. ويستطرد الصولي قائلاً : وقول عنترة أحسن ، لأنه أحترس من عيب الإعطاء على السكر وأن السكر زائد في سخائه فقال :

وَإِذَا شَرَبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَأَفْرٌ لَمْ يُكَلِّمْ

(1) الموشح : 58 ، أخبار البحترى : 176 ، الشعر والشعراء : 147 \ 1 .

(2) أمون : الناقة التي يؤمن عثارها ، والتمر : الفرس الطويل المشرف . انظر لسان العرب مادة أمن ومادة طمر . انظر العقد الثمين : 11 .

(3) المغث : الحمى ، ورجل ممغوثة : أي محموم ، وأصل المغث المرس والدلك . انظر مادة مغث : لسان العرب . انظر ديوان حسان بن ثابت : 8 .

أي إذا شربت الخمر فإنني أهلك مالي بجودي ، ولا أشين عرضي وحسبي ببخلي فعنتره
يفتخر بشربه لأنه يحمله على محامد الأخلاق ، ثم يذكر الصولي أن زهيراً تفوق على الجميع حين

قال : **أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنّه قد يهلك المال نائله⁽¹⁾**

فهذا من أحسن الكلام، يريد أنه لا يشرب بماله الخمر، ولكنه يبذله للحمد.

(ب)- ويقارن الصولي أيضاً بين شعر النابغة الذبياني وشعر امرئ القيس وشعر

الطرماح في وصف طول الليل⁽²⁾ وتأثير ذلك على نفسية كل منهم ، ومدى توفيق كل شاعر في

التعبير عما يعتل في نفسه من أحاسيس وما يكبته من شجن . فيتناول قول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصبٍ وليل أفاقيه بطيء الكواكب⁽³⁾

تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجوم بأيب

وصدر أراح الليل عازب همةً تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وقول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل⁽⁴⁾

(1) العقد الثمين : 46 .

(2) الموشح : 33 .

(3) ديوان النابغة : 9 .

(4) يذبل : جبل طرف منه لبني عمرو بن كلاب وبقيته لباهلة، انظر العقد الثمين : 97 - 98 .

ويعقد بينهما مقارنة أدبية نقدية ، ويحلل الصورتين تحليلاً جميلاً يبين دقائق المعنى وملابساته ، مبيناً مواطن الجمال ودقة التعبير يقول : فأما النابغة فقوله : ((وصدراً أراح الليل عازب همه)) فإنه جعل صدره مألوفاً للهموم وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها ، وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل ، وتبعه الناس)) .

((والمبتدئ بالإحسان فيه امرؤ القيس ، فإنه بحذقه وحسن طبعه ، وجودة قريحته ، كره أن يقول : إن الهم في حبه يخفف عنه في نهاره ، ويزيد في ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه ، وجزعه وغمه ، فقال : ((ألا أيها الليل الطويل)) فأحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه، وإن كانت العادة غيره، والصورة لا توجبه))⁽¹⁾.

ثم يتناول الصولي قول الطرماح في هذا الموضوع ويقول : إنه اتبع امرأ القيس ثم أراه استحالة معناه في المعقول ، وأن الصورة تدفعه ، والقياس لا يوجبه ، والعادة غير جارية به حتى لو كان الرد عليه من حذق المتكلمين ، فإنه ابتداءً القصيدة فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا أصبح بيمَّ وما الإصباحُ فيك بأروح

فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجاً مستدركاً فقال :

بلى إنَّ للعينين في الصبح راحة لطرَّحهما طرَّفيهما كل مطرَح

فأحسن في قوله وأجمل ، وأتى بحق لا يدفع ، وبين عن الفرق بين ليله ونهاره ، وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل وشدة كلفهم لقلة المساعدة وفقد الحبيب ، وتقيد

(1) الموشح : 32 .

الحظ عن أقصى مرامي النظر الذي لا بدّ أن يؤدي إلى القلب بتأمله سبباً يخفف عنه ، أو يغلب عليه فينسى ما سواه.

ويواصل الصولي كلامه فيقول⁽¹⁾ : وأبيات امرئ القيس في وصف الليل أبياتٌ اشتمل الإحسان عليها، ولاح الحذق فيها ، وبان الطبع بها ، فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند أمراء الكلام والحذق بنقد الشعر وتمييزه ، والعيب قوله :

فقلتُ له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازاً وناءً بكلل⁽²⁾

فلم يشرح قوله : فقلت له ما أراد، إلا في البيت الثاني، فصار مضافاً إليه متعلقاً به، وهذا عيب عندهم، لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر⁽³⁾ وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية .

ومن الواضح أن الصولي في هذا الموضوع يتحدث وبشكل مباشر عن موضوع وحدة البيت الذي يختلف تماماً عن الوحدة الموضوعية للقصيدة .

والمقصود في وحدة البيت هنا الذي أشار إليه الصولي من خلال باب المقارنات : أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره لإتمام معناه . وعلى هذا الأساس نجد الكثير من الأحكام الصادرة حول أشعر بيت وأمدح بيت وأهجي بيت، ولقد تناول النقاد هذه القضية بالتفصيل وكان الخلاف حول وحدة البيت كغيرها من القضايا التي وجد فيها تباين في الآراء بين مؤيد ومخالف.

(1) الموشح : 36 .

(2) العقد الثمين : 97 .

(3) الموشح : 36 .

ثانياً : ويقارن الصولي بين ما قالته مجموعة من الشعراء من عصور مختلفة تناولوا موضوعاً واحداً :

(أ) فيقارن بين قول زهير بن أبي سلمى من الجاهليين وقول أبي تمام والبحتري من المحدثين حول موضوع استئثار المسؤول وانفراج أساريره ، وبشاشة وجهه حينما يُسأل حاجة أو معروفاً .

فنرى الصولي يثبت السبق في المعنى لزهير ، وأن أبا تمام قد تبعه وغيره من الشعراء فيقول (1) : ((وأول من أتى بفرح المسؤول وطلاقة وجهه ، ثم أخذ الناس فولدوه فقالوا : السؤال أحلى عنده من الغناء ، وراجيه أحبُّ إليه من مُعْطيه ، زهير قال :

تراه إذا ما جئته مُتهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله(2)

ثم أخذ المعنى أبو تمام فقال :

ومُجربون سقاهم من بأسه فإذا لَقُوا فكانهم أغمار(3)

فتبعهما البحتري فقال :

ملك له في كل يوم كريهة إقدام غرٍ واعتزام مُجرب(4)

(1) أخبار أبي تمام : 81 .

(2) العقد الثمين : 46 .

(3) ديوان أبي تمام : 126 .

(4) ديوان البحتري : 87 .

(ب) ويقارن الصولي بين اعتذار النابغة الذبياني إلى النعمان ، واعتذار سلم الخاسر إلى المهدي .ويضع الاعتذارين جنباً إلى جنب ، وكأنه يقول : إذا كان النابغة الذبياني قد برع وتفنن في الاعتذار للخروج من مأزقه حتى عرف به ، فإن من المحدثين من تناول هذا الموضوع وهو وإن لم يتفوق على النابغة ، فإنه لن يقل عنه .

ويأتي الصولي بشعر الرجلين ، فيسرد اعتذار النابغة إلى النعمان الذي يقول فيه (1) :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المُنتأى عنكَ واسعُ
خطا طيفُ حجن⁽²⁾ في حبالٍ متينةٍ تمُدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ

فيصفه بأنه كالليل المنشور الذي أرخى سدوله على جميع الكائنات ، فليس هناك مفر أو مهرب من ظلمته وحلوكته مهما بعد المطاف واتجهت السبل ، ويستخدم النابغة تشبيهاتٍ وألفاظاً من البيئة الصحراوية التي يعيش فيها مثل (خطاطيف ، حُجن ... حبال متينة) .

ثم يأتي الصولي باعتذار سلم الخاسر إلى المهدي الذي يقول فيه :

إني أعودُ بخير الناس كُلِّهم وأنتِ ذاكِ بما تأتي وتجتنبُ
وأنتِ كالدَّهرِ مَبثوثاً حَبائلهُ والدَّهرُ لا ملجأَ منه ولا هربُ
ولو ملكتُ عنانَ الرِّيحِ أصرفهُ في كلِّ ناحيةٍ ما فاتكِ الطَّلَبُ

حيث ربط سلم بين الخليفة المهدي وبين القدر الذي لا راداً لقضائه ، فنراه يستعيز به وبعفوه ، ويقول له أنت قدرتي الذي لا مفر منه ، ولا ملجأ سواك نفسك ، فمهما بعدت عنك

(1) المصدر السابق : 20 .

(2) خطاطيف حجن : كل حديدة حجناء ، والخطاف هو الذي يجري في البكرة إذا كانت من حديد ، ومخالب السباع خطاطيفها . انظر ديوان النابغة : 7 .

وصلت إليّ ، وقدرت عليّ حتى ولو ملكت تحريك الرياح التي يمكن أن تطير بي في كل اتجاه فطلبك لي لا يصعب عليك ، وسيصلي انتقامك حيثما كنت فلن يحميني من سطوتك إلا رحمتك ومن غضبك إلا عفوك .ونرى سلم يربط بين المعاني الإسلامية وبين وضعه الذي لا يحمد عليه، والذي من أجله يقدم الاعتذار .

ويقرر الصولي : إن المحدثين حقيقة أخذوا من معاني الشعراء القدماء وتناولوا أغراضهم ولكنهم طوروها بما يتناسب مع عصورهم وحضارتهم ، فزادوا عليها وزخرفوها ببديعهم فتم لهم المعنى ، فصاروا أحق بهذه المعاني .(1)

(ج) ويتناول الصولي موضوع (حب الأوطان والتشوق إليها) عند شعراء من عصور مختلفة ليبين أثر ذلك على شاعريتهم وعواطفهم وحنينهم إلى مسقط رأسهم :
 فيقارن بين شعر لأعرابي أو أعرابية في الجاهلية، وشعر ابن ميادة المخضرم (149هـ) وشعر ابن الرومي مبيناً أن الشعر يتأثر بالبيئة والثقافة والعصر، وأن المحدثين يميزهم عن غيرهم، ثقافتهم الواسعة وبيئتهم المتحضرة.يقول الصولي (2) : ((وأحسن ما قال الأوائل في الأوطان ومحبتها والتشوق إليها :

بلادٌ بها حلّ الشبابُ تئاممي وأول أرضٍ مسَّ جلدي تُرابها(3)

فالشاعر يربط بين وطنه الذي نشأ فيه ، وبين الأرض التي هي مرتع شبابه ، ثم يتناول الصولي قول (ابن ميادة) مبيناً كيف تطور هذا المعنى عنده ووضح حيث قال :

(1) أخبار أبي تمام : 54 .

(2) المصدر نفسه : 22- 23 .

(3) البيت لأعرابي أو أعرابية من طيء .

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بحرّة ليلَى حيثُ ربّني أهلي
 بلادٌ بها نيطتُ عليّ قلائدي وقُطّعتُ عنيّ حينَ أدركني عقلي
 فإن كنتَ عن تلكَ المواطنِ حابسي فأفشي عليّ الرزقَ واجمع إذن شملِي

يتمنى الشاعر أن يزور موطنه ليقضي ليلة يتذكر فيها أهله ومرباه ومهيع شبابه ، حيث
 ارتبط بهذه الأرض ، ولكن شاء القدر أن يبعده عنها من أجل الرزق وطلب العيش .

ويقول الصولي : فجاء ابن الرومي فذكر الوطن وبين العلة التي يحب الوطن لأجلها

وجمع ما فرقوه في أبيات فقال :

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا⁽¹⁾
 عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً كنعمة قومٍ أصبحوا في ظلالكا
 فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأنهُ لها جسدٌ إن غابَ غودرتُ هالكا
 وحبّبتُ أوطانَ الرّجالِ إليهم ما ربُّ قضاها الشبابُ هنالكا
 إذا ذكروا أوطانهمُ ذكرتهمُ عهودُ الصبا فيها فحنوا لذالكا

فربط ابن الرومي بين وطنه وصباه ، وشبابه وحببه ، الذي نعم به فترة من الزمن كانت
 بالنسبة له كالأحلام ، وأن هذا الوطن بالنسبة له مكمل لنفسه ، كما تكمل الروح الجسد ، ويربط
 ابن الرومي أيضاً بين وطنه وحببه ذكرى الأيام الجميلة التي قضاها بين أحضانه ، حتى لقد أصبح
 هذا الوطن يُذكره بذكرى عهود الصبا وعهود الغرام التي طالما يحن إليها المرء .

(1) ديوان ابن الرومي : 95 .

ويقول الصولي⁽¹⁾: وإنما جئت بابن الرومي لأنه ممن رأيت وشاهدت ، وهو أقرب المحسنين عهداً وآخرهم موتاً ، ولو ترفعتُ إلى أبي تمام ومسلم وأبي العتاهية وأبي نواس وبشار لرأيت مثل هذا كثير.

ثالثاً : يقارن الصولي بين ما أخرجته قريحة شاعرين محدثين حول معنى واحد .

فنراه يقارن بين ما أخرجته قريحة أبي تمام وقول أبي نواس حول معنى تداول كثيراً بين الشعراء وهو (الإفراط في الإعطاء) .

يقول أبو تمام (2) :

ما زال يهدي بالمواهب دائماً حتى ظننا أنه محمومٌ

وقول أبي نواس :

جُدتَ بالأموالِ حتى قيلَ ما هذا صحيحٌ

ويقول : ((إن شعر أبي تمام أجود في معناه : لأن المحموم أحسن حالاً من المجنون لأن هذا يبرأ فيعود صحيحاً كما كان ، والمجنون قلما يتخلص من مرضه ، فأبو تمام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبدال بأكثار المحموم ، أعذر من أبي نواس إذ شبهه بفعل المجنون ، فلهذا كان معنى أبي تمام أجود)) (3) .

رابعاً : وفي موضوع التشبيه يقارن الصولي بين تشبيهات القدماء وتشبيهات المحدثين

(1) أخبار أبي تمام : 25 .

(2) أخبار أبي تمام : 25 ، ديوان أبي تمام : 266 .

(3) أخبار أبي تمام : 32 .

ونرى الصولي يدلي بدلوه في مجال البلاغة ويقارن دون تعصب لفريق منهم ضد فريق آخر ، ولكنه قصد إلى إظهار أن الأوائل إذا كانوا قد شبهوا فسبقوا وأحسنوا ، فإن المحدثين أيضاً لا يقلون عنهم مقدرة وفناً ، أن لم يتميزوا عنهم من حيث رقة التعبير وعذوبة الألفاظ ، والبعد عن جفاف الصحراء وحوشية اللغة .

فنجده يتناول تشبيهات امرئ القيس - التي استحسناها الناس - إذ شبه شبيئين بشيئين في بيت واحد في وصف عقاب (1) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لـ دى وكرها العنابُ والحشف البالي

يقول الصولي : إذا كان الناس قد قالوا ؛ لا يقدر أحد بعده على أن يأتي بمثله فإن بشار وهو أعمى أكمه لم ير بعينه قط ، شبه حدساً شبيئين بشيئين في بيت ، فأحسن في ذلك وأجمل فقال :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقَعِ فَوْقَ رُؤْسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَتْ كَوَاكِبُهُ

ثم نحا هذا ونبغ فيه أيضاً شاعر محدث آخر وهو منصور النمرى شاعر الرشيد فقال :

لَيْلٌ مِنَ النَّقَعِ لَا نَجْمٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينِكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ (2)

وقال العتابي أيضاً مشبهاً شبيئين بشيئين :

تَبْنِي سَنَابِكَهَا مِنْ فَوْقِ رُؤْسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

ويختم الصولي مقارنته هذه بأنه لا يجب أن يكون هناك تعصب بين قديم ومحدث ولكن

التقدير يكون حسب جودة الفن ، ومقدرته الفنية على الإيحاء بصور يحسن بها الآخرون .

(1) رسالة الصولي إلى مزاحم : 17 ، الشعر والشعراء : 55 ، زهر الآداب : 1843 . العقد الثمين : 104 .

(2) المذروبة الشرع : الرماح المشرعة .

ويرفض الصولي مبدأ سرد الأحكام العامة فيقول : إن هذا الشاعر أشعر الناس وإن ذلك أشعر من هذا ، فيرى أن كل شاعر - حسب عمره وطبقته - له إمكانياته الفنية ، وفي شعره مواطن الجودة ومواطن الضعف ، وإن لكل شاعر في شعره أمثلة عديدة على جودته في معانٍ معينة ، وضعفه في معانٍ أخرى .

ويضرب لذلك مثلاً أن جماعة من أهل الأدب تعصبوا لأبي نواس ضد بشار فقالوا : ((إن أبا نواس أشعر من بشار)) فرد الصولي عليهم ذلك ، وعرفهم ما جهلوه من فضل بشار وتقدمه في الشعر ، وأنه رأس جميع المحدثين وأولهم .

وقامت المقارنات بين شعر الرجلين وبين معانيهما ، فكان كلما ذكر أحدهما شيئاً لأبي نواس ، جاء الصولي بأصله فأفحمهم . (1)

ولكن الصولي يرى أنه يمكن رفع الشاعر درجة أو أكثر على شاعر آخر ، أو تفضيل غرض عنده على غرض لآخر ، أو معنى من معانيه على المعاني نفسها عند غيره .

وفي هذا المجال يقارن بين فحول الشعراء الأمويين الثلاثة : الفرزدق وجرير والأخطل من حيث معانيهم وأغراضهم وجودتهم الفنية ومقدرتهم الشعرية ، فهو لا يقلل من شأن جرير أو الأخطل وإن يكن يرفع الفرزدق درجة عليهم ، ويقدم الدليل على ذلك ، ثم يقول : إنه ما رفعه إلا ((لشرفه وقوة أسر كلامه وكثرة معانيه وجميل مذهبه ، ولأنه يتقدم عن الاثنين اللذين من طبقته في شعره (2))) .

(1) أخبار أبي تمام : 142 .

(2) رسالة الصولي إلى مزاحم : 11 .

خامساً : مذهب الطبع والصنعة في الشعر.

ويقارن بين شعراء المذهبين وأخص خصائصهم، وطريقتهم في التعبير، ويحدد السمات البارزة لطريقة كل منهم في النظم.

فتارة يقارن بين أبي تمام بوصفه إماماً لمذهب الصنعة ، وابن أبي عيينة المطبوع فيقول (1) : ((ولا أعلم شاعرين أشد تبايناً ولا أبعد شبهاً من أبي تمام وابن أبي عيينة المطبوع فإن أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ويتعب في طلبه حتى يبذل ، ويستعير ويغرب في كل بيت إن استطاع ... ولا يسقط معناه البتة، وإنما يختل في الوقت لفظه، فإذا استوى له اللفظ، فهو الجيد من شعره، النادر الذي لا يتعلق به.

وابن أبي عيينة لا يصنع من هذا شيئاً ، ويرسل نفسه في شعره على سجيته ، ويخرج كلامه مخرج نفسه بغير كلفة .. وربما اختل معناه ، ولأن لفظه للطبع)) .

وتارة أخرى يقارن الصولي بين أبي تمام والبحتري فيقول (2) :

((إن شعر أبي تمام جيد لا يتعلق به أحد من أهل زمانه، وإن كان يختل في بعض قصائده لفظه لا معناه... أما البحتري فلا يختل شعره لا في لفظ ولا معنى إلا اختلافاً قريباً)) .

ويرى الباحث أن الصولي يقر بفضل الشعراء الأقدمين وسبقهم في طرق الكثير من الموضوعات ، غير أن المحدثين لهم من الفضل بأن تناولوا هذه الموضوعات ، وجددوا في معالجاتها ، وطوروا عليها ، حتى إنهم أبدعوا في صياغتها ، ووضعوا لها قوالب جديدة تتناسب مع حركة التطور والتقدم ، ومعطيات الحياة الجديدة ، كل هذا يشير بأن الصولي من أنصار

(1) أخبار البحتري : 165 .

(2) أخبار أبي تمام : 67 ، أخبار البحتري : 57 ، الأغاني 18 \ 168 .

الشعر المُحدث مع تقديره للشعر القديم وأصحابه ، غير أن ميله للمحدثين ظاهرٌ جلي من خلال هذه المقارنات التي يعقدها ، ومن خلال شرحه لأبيات الشعراء وتفصيل مراميها.

هذا بالإضافة إلى تحيزه الواضح إلى مذهب الصنعة والتجديد في القوالب والتشبيهات وصياغة الألفاظ والتراكيب واستعارة المعاني وغريبها ، ويظهر هذا في مؤلفيه أخبار أبي تمام وأخبار البحتري .

2- السرقات

قضية السرقات من القضايا التي تناولها النقد بالدراسة ، وأفردوا لها مصنفات عديدة منها مصنفات في سرقات شاعر من آخر ومنها في السرقات عامة.

وتبدو هذه القضية في أهميتها شبيهة بقضيته اللفظ والمعنى ، وربما فاقتها خطورة لانشغال الأدباء بها فترة طويلة ، ولأنها اقتطعت من جهود النقد العربي جانباً كبيراً، وتتصل هذه القضية بسابقتها ؛ لأنها تقوم عليها ، أي أنها انبثقت من قضية اللفظ والمعنى إذ يقصد بالسرقة سرقة المعنى حيناً ، وسرقة اللفظ حيناً وكلاهما معاً أحياناً أخرى .

اختلف الدارسون في تحديد زمن دراسة السرقات ، فذهب بعضهم إلى أن هذه الدراسة لم تظهر إلا بظهور أبي تمام⁽¹⁾ ورأى بعضهم الآخر أنها قد تأنت قبل هذا الزمن⁽²⁾ وليس يعنينا أن نرجح رأياً على آخر ، وإنما الذي يعنينا أن نشير إلى ظهور الاتجاه الجديد في شعر جماعة المحدثين من أصحاب البديع ، فقد آلى هؤلاء على أنفسهم أن يجددوا في المعاني والأساليب وكان النقد لهم بالمرصاد ، ولم يتقبلوا تجديدهم ذلك بسهولة ، فعابوا اللغة واتهموا أساليبهم بالضعف ، ورموهم بالسرقة والاتكاء على القدماء في معانيهم وأساليبهم كذلك .

ألقت في هذه القضية كتب كثيرة ومؤلفات ، على سبيل المثال لا الحصر كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، وألف القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني كتاب الموازنة بين المتنبي وخصومه ، كما ألف الأمدى الحسن بن بشر كتاباً أسماه الموازنة بين

(1) تاريخ النقد الأدبي : 178 ، النقد المنهجي : 354 .

(2) مشكلة السرقات في النقد العربي : 76 .

الطائيين ، والصناعيين لأبي هلال العسكري ، وأخبار أبي تمام وأخبار البحتري لأبي بكر الصولي .

إن أية حركة تقوم حول شاعرين أو مذهبيين أو فئتين من الشعراء ينقسم النقاد إزاء ذلك إلى فريقين ، فريق مؤيد وآخر مناهض، لذلك نجد أن معظم المؤلفات التي ألفت في السرقات كانت تدور حول أبي تمام والبحتري ثم المتنبي من بعدهما .

لقد شغل موضوع السرقات معظم النقاد في عصر الصولي وما بعده ، حتى لقد كان شغلهم الشاغل أن يذكروا من أين أخذ هذا الشاعر معناه ، ومن سبقه إليه ومن منهم أجاد الشاعر التابع أو المتبوع .

ولعل السبب في ذلك أن الشعر العربي بعد أن وصل الذروة الفنية في العصر العباسي على يد كبار الشعراء ، جمد واتخذ صورة ثابتة لا تتحول ، محورها الموضوعات القديمة والمعاني القديمة حتى وصلنا إلى أخريات عصر الصولي في القرن الرابع الهجري ، نجد أن الشعر العربي قد ارتبط بصورة ثابتة وبمعانٍ متكررة .

جمع عصر الصولي بين العديد من فحول الشعراء كان أهمهم في نظر النقاد أبو تمام والبحتري : فساعد وجودهما وما حولهما من مناقشات ومقارنات ، على تنشيط حركة النقد التي شغلت نقاد القرن الثالث جميعاً وما بعده ، وخلفت لنا ذخيرة نادرة ، في النقد الأدبي ، وثروة لم نظفر بمثلا في أي عصر من عصور الأدب السابقة .

ولا شك أن ظهور البحتري بعد أبي تمام، وتناوله لأغراضه ومعانيه، جعل النقاد يقارنون بين الشاعرين، وطريقتيهما في التعبير، وبين مذهبيهما، وبين صياغتهما ومعانيهما .

انقسم النقاد إلى قسمين : فقد تشيع قوم منهم للبحثري ، وناصر قوم أبا تمام ، وخرج النقاد يقارنون ويوازنون بين الطائنين ، فمنهم من تعصب لطبع البحتري ، وشعره وصياغة معانيه وموسيقية ألفاظه ، وفي الوقت نفسه ينتقد صنعة أبي تمام وينكر عليه تجديده وتفلسفه وإغرابه ومنهم من تعصب لأبي تمام وفنه وصناعته وما أحدثه في فن الشعر من تجديد ، ومن هؤلاء النقاد الأمدي في موازنته بين الشاعرين الطائنين أبو تمام والبحتري .

تناول الصولي موضوع السرقات بين الشاعرين الكبيرين ، فأظهر أن البحتري تابع لأبي تمام ، لآذ به ، متمثل بمعانيه ، سائر على هديه ، أخذ منه ، وضرب لذلك المثل تلو المثل مستشهداً بكثير من الأشعار التي تثبت قوله ، ومن ذلك قول أبي تمام (1) :

إذا القصائد كانت من مدائحهم يوماً فأنت لعمرى من مدائحها

أخذه البحتري فقال :

ومن يكن فاحراً بالشعر يُذكر في أصنافه فبك الأشعارُ تفتخر⁽²⁾

وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طويت أتاح لها لسان حَسود⁽³⁾

فأخذه البحتري فقال :

ولن تستبين الدهر موضعَ نعمةٍ إذا أنت لم تُدللَ عليها بحاسد⁽⁴⁾

(1) أخبار أبي تمام : 76-77 . ديوان أبي تمام : 68 .

(2) ديوان البحتري : 2 / 78 .

(3) ديوان أبي تمام : 77 .

(4) ديوان البحتري : 2 / 99 .

اعترف القدماء والمحدثون جميعاً بسرقات الشعراء وأخذ معاني بعضهم وهذا ما جعل الصولي يتناول هذا الموضوع فيدافع عن الشعراء المحدثين .

لم ينف الصولي عن المحدثين تهمة السرقة والتبعية للأوائل ، بل اعترف أن المحدثين يسيرون بريح القدماء آخذين معانيهم مضمنين لها في أشعارهم يصبون على قوالبهم ، وأن لهم السبق بحق الاختراع والابتداء والطبع (1) .

ولكنه يقرر أيضاً أن المحدثين إذا كانوا قد استعملوا معاني القدماء وأحياناً أفكارهم وصورهم ، إلا أنه وجد في شعر المحدثين معاني لم يتكلم القدماء بها ، ومعاني أومأوا إليها فأتى بها هؤلاء المحدثون فأحسنوا فيها علاوة على أن شعرهم - بمعانيه القديمة والحديثة - طوعوه لكي يتناسب مع الزمان والحضارة من حيث المعاني البديعة والألفاظ السهلة القريبة ، والكلام العذب الرقيق ، لذلك كان الناس له أكثر استعمالاً في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم (2) .

فالصولي لا ينفي تهمة السرقة عن المحدثين ، إلا أنه يربطها بالتجديد ويذكر أهم ما تواضع عليه النقاد والعاملون بالشعر في عصره ، يقول : ((إن الشاعر متى أخذ معنى قديماً فطوره ونقحه وزاد عليه ووشحه بالبديع ، فظهر تام المعنى ، كان أحق به)) (3) .

ويضرب لذلك مثلاً بقول أوس بن حجر (4) :

أقول بما صبّت على غمامتي وجُهدِي في حبلِ العشيِّرة أَحطُّبُ

(1) أخبار أبي تمام : 16 .

(2) المصدر نفسه : 17 .

(3) المصدر نفسه : 46 .

(4) المصدر نفسه : 54 .

وكيف أن أبا تمام أخذ هذا المعنى ، وطبعه بطابعه ، وأخرجه مخرجاً حسناً فكان به أحق من أوس بن حجر فقال :

فلو كان يفنى الشعر أفنته ما قرتُ حياضك منه في العصور الذّواهبِ
ولكن صوب العقول إذا انتثت سحائب منها أعقبت بسحائبِ

ويذكر الصولي حكم النقاد والعلماء في قضية السرقات فيقول (1) :

((حكم النقاد للشعر ، العلماء به ، قد مضى بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظاً أو جمعاهما ، أن يجعل السبق لأقدمهما سناً ، وأولهما موتاً وينسب الأخذ إلى المتأخر لأن الأكثر كذا يقع ، وإن كانا في عصر ، ألحق بأشبههما به كلاماً ، فإن أشكل ذلك ، تركوه لهما)) .
ولقد أفرد الصولي لمبحث السرقات أكثر من بحث ، وتحدث عنها في أكثر من مجال حتى ليتمكن القول إنه لم يترك شاعراً من الشعراء الذين تناول شعرهم إلا ووجد في شعره أكثر من معنى مأخوذ من شاعر قديم أو معاصر .

فنرى الصولي يقف حكماً لإحقاق الحق وإزهاق الباطل خصوصاً حين يدعي شاعر أن آخر سرق معانيه ، فنراه ينصب نفسه حكماً ، ويدقق ويقيم ثم يقول رأيه في هذا الموضوع .
ومن ذلك : ما تحدث به دعبل الخزاعي في أحد المجالس عن أبي تمام واتهامه له بأنه سرق معانيه ، وحدد ذلك بمعانيه التي ضمنها أبياته (2) :

إن امرءاً أسدى إليّ بشافعٍ إليه يرجو الشكر مني لأحمقُ
شفيعك فاشكر في الحوائج إنّه يصونك عن مكروه وهو يُخلقُ

(1) أخبار أبي تمام : 100 - 101 .

(2) المصدر نفسه : 64 .

فيقول إن أبا تمام أخذها وصاغ معانيها فقال :

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يديّ مرّ سؤاله⁽¹⁾
 وإذا امرؤ أسدى إليّ صنيعه من جاهه فكأنها من ماله

فما كان من أحد السامعين إلا أن قال: أحسن والله... ، والله لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك، فقد أجاد، فصار أولى به منك.

ويأتي الصولي بالقول الفصل فيقول : ((إن شعر أبي تمام أجود ، لأنه مبتدئاً ومتبعاً أحق بالمعنى))⁽²⁾.

ولقد حرص الصولي دائماً في ترجمته للشعراء المحدثين على أن يذكر من أين استقى هذا الشاعر معناه ، ومن الذي سبقه إلى ذلك ، وحرص أيضاً على إيراد الشعر الأصلي الذي استقى منه المعنى .

ومن ذلك - الشعر الذي رواه الصولي لأحمد بن يوسف ، في تعزية صديق له ماتت ببغاؤه ، وكان له أخ متخلف عقلياً يدعى عبد الحميد .. قال أحمد بن يوسف⁽³⁾ :

أنت تبقى ونحن طراً فداكا أحسن الله ذو الجلال عزاكا
 فلقد جلّ خطبُ دهرِ أتانا بمقاديرِ أتلفت ببغاكا
 عجباً للمنون كيف أتها وتخطتْ عبد الحميد أخاكا
 كان عبد الحميد أصلح للمو ت من الببغا وأولى بذاكا

(1) ديوان أبي تمام : 212 .

(2) أخبار أبي تمام : 222 - 223 .

(3) المصدر نفسه : 222 - 223 .

يقول الصولي : وإنما أخذه أحمد بن يوسف من قول أبي نواس ، وزاد في المعنى إرادة

وكراهية ... قال أبو نواس : لما مات الرشيد وقام الفضل بن الربيع يعزي الأمين :

تَعَزَّ أبا العباس عن خير هَالِكٍ بأكرم حيِّ كان أو هو كائِنُ
حوادث أيام تدور صروفها لهن مساوئ مرة ومحاسنُ
وفا الحي بالميت الذي غيب الثرى فلا أنت مغبون ولا الموت غابنُ

ويقول الصولي أيضاً : ومن ههنا أخذ ابن بسام قوله لعبيد الله بن سلمان ، لما مات ابنه

الحسن وبقي القاسم :

قل لأبي القاسم المرزِّي قابلك الدهرُ بالعجائبِ
مات لك ابنٌ وكان زينا وعاش ذو النقص والمعائبِ
حياة هذا كموت هذا فلست تخلو من المصائبِ

ويبين الصولي كيف كانت المعاني تتداول بين الشعراء فيذكر في مجال الاعتذار قول سلم

الخاسر يعتذر إلى المهدي (1) :

إني أعودُ بخير الناس كلِّهم وأنت ذاك بما تأتي وتجتنبُ
وأنت كالدَّهرِ مبنوثاً حباته والدَّهرُ لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أُصرفه في كل ناحيةٍ ما فاتك الطَّلبُ

(1) أخبار أبي تمام : . 19 - 22 .

فيقول الصولي : إن قول سلم الخاسر ((ولو ملكت عنان الريح)) مأخوذ من قول الفرزدق

للحجاج :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدركتهُ مقاديرُهُ

وإن قول سلم ((أنت كالدهر)) مأخوذ أيضاً من قول الأخطل :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكا لدهر لا عاراً بما فعل الدهرُ

ومن الجدير بالذكر بأن الصولي كثيراً ما كان يُرجع معاني المحدثين إلى القدماء ، سواء كانوا جاهليين أو إسلاميين ، وإذا قارن بين شاعرين محدثين تصارعا من أجل معنى ، واتهما كل منهما الآخر بالسرقة – كما فعل دعبيل وأبو تمام – نراه يحلل المعنى ، ويذكر من الأجود ، ومن الأحق بنسبة المعنى إليه ، وكان لذوقه وحاسته الفنية أثر كبير فيما يصدره من أحكام حول الشعر والشعراء .

وهكذا يمكن القول : إن أبا بكر الصولي خير من عرض لفكرة السرقات في عصره وخير من برهن عليها وطبقها على من درسهم من الشعراء مستأنساً بما عُرف عنها لدى النقاد .

سرقات البحترى من أبي تمام :

إن ظهور البحترى بعد أبي تمام وتناوله لإغراضه ومعانيه جعل النقاد يقارنون بين الشاعرين وطريقتهما في التعبير ، ومن الذي أحسن في هذا المعنى أو ذاك ؟ ومن أين أخذ هذا المعنى ؟ وهل أجاد أم أخطل ؟ وما الذي سرقه البحترى ؟ وحاول الذين وقفوا إلى جانب أبي تمام إظهار سرقات البحترى منه ولوذه بمعانيه .

تناول الصولي موضوع السرقات بين الشعارين ، فأظهر أن البحتري تابع لأبي تمام لائذ به ، متمثل بمعانيه ، سائر على هديه ، آخذ منه وضرب لذلك الأمثلة الكثيرة ، واستشهد بأبيات كثيرة جداً من ذلك قوله :

قال أبو تمام :

إذا القصائد كانت في مدائحهم يوماً فأنت لعمري من مدائحها⁽¹⁾.

فقال البحتري :

ومن يكن فاخراً بالشعر يذكر في أصنافه فبك الأشعار تفتخر⁽²⁾

وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود⁽³⁾

فقال البحتري :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد⁽⁴⁾

وزاد الصولي بأن البحتري لم يتبع أبا تمام في معانيه فحسب ، بل يستعير كثيراً من

ألفاظه ، إذ قال : ((فأما الذي نقله البحتري نقلاً فأخذ اللفظ والمعنى ، فقول أبي تمام يصف شعره

منزهة عن السرقة المورى مكرمة عن المعنى المعاد⁽⁵⁾

(1) أخبار أبي تمام : 76 ، ديوان أبي تمام : 68 .

(2) أخبار أبي تمام : 36 ، ديوان البحتري : 2 / 104 .

(3) ديوان أبي تمام : 77 .

(4) أخبار أبي تمام : 77 ، ديوان أبي تمام : 74 .

(5) أخبار أبي تمام : 74

فقال البحتري يصف بلاغته :

لا يعمل المعنى المكر ر فيه واللفظ المررد (1)

وعلى الرغم من أن الصولي استشهد بالأمثلة الكثيرة التي تؤكد أخذ البحتري من أبي تمام وصرح بذلك أيضاً⁽²⁾ ، فإنه ذكر أنه لولا أن بعض أهل الأدب ألف في أخذ البحتري من أبي تمام كتاباً لساق الكثير من أمثال الشواهد التي ذكرها⁽³⁾.

وزاد الصولي أن البحتري وإن أخذ من أبي تمام المعاني والألفاظ فإنه وقع دونه ولم يلحقه⁽⁴⁾ ، يقول الصولي : ((وأني لأراه يتبع أبا تمام في معانيه حتى يستعير مع ذلك بعض لفظه ، فلا يقع إلا دونه ويعود في بعضها طبعه تكلفاً وسهله صعباً))⁽⁵⁾ .

ويبدو أن عصبية على البحتري دفعته لأن يلتمس سرقاته عند غير أبي تمام أيضاً ، إلا أن هذه السرقات قليلة إذا قورنت بسرقاته من أبي تمام⁽⁶⁾ .

(1) أخبار أبي تمام : 82 . الموشح : 322 ، ديوان البحتري : 2 / 56 .

(2) أخبار أبي تمام : 73

(3) المصدر نفسه : 74

(4) المصدر نفسه : 85

(5) أخبار البحتري : 60 ، الموشح : 331

(6) أخبار البحتري : 139 ، الموشح : 340 - 339

3- اللفظ والمعنى

من المسائل الكبرى عند النقاد القدامى ، مسألة اللفظ والمعنى ، فقد قامت المعركة بينهم على أشدها في تحديد دور كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية ، ومن ثم في تقويم شخصية كل منهما في السيادة والأولوية.

ولعل المحفز لهذه المعركة الإعجاز القرآني ، أو فكرة الإعجاز في القرآن وارتباط الفكر النقدي والبلاغي بمضامينها ، فكان النزاع محتدماً في أين يكمن الإعجاز ، في اللفظ و تأليفه أو المعنى ودلالته ، أو بهما معاً ، أم بالعلاقة المتولدة بين اللفظ والمعنى .

ولأهمية هذه القضية في الثقافة العربية الإسلامية، فقد كانت محط اهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف بيئاتهم ومعارفهم، فتعددت حولها النظريات ، وتضاربت حولها الآراء واختلقت المناهج ، والمصطلحات من حقل لآخر. ونستطيع أن نقول : إن التداخل والترابط الذي تتسم به ثقافتنا العربية الإسلامية، جعل من هذه القضية إرثاً مشتركاً بين جميع البيئات المعرفية. لقد عالج النقاد مسألة اللفظ والمعنى على أساس المقابلة بين كل منهما ، وانقسم النقاد في

ذلك إلى طوائف :

1- طائفة تنظر إلى مقومات العمل الأدبي من جانب المعنى غافلة اللفظ

2- طائفة تنظر إلى الألفاظ فقط

3- طائفة ساوت بين اللفظ والمعنى

ولا بد لنا من السير شوطاً في غمار هذه المعركة للكشف عن مراميها ، وسبر أغوارها ، لنصل بعد هذا المسير إلى ميناء الصولي الذي ترسو عليه الصورة الأدبية .

وحيث إن مجال هذه الدراسة لا يتسع للحديث عن كل الحقول المعرفية التي تناولت قضية اللفظ والمعنى بالدراسة والبحث (تفسيراً وفلسفة ونحواً وفقه لغة وبلاغة ونقداً وأدباً وفقها وأصولاً)، فقد فضلنا أن نشير إلى جهود النقاد الذين كانت لهم نظرات ثاقبة في هذه القضية التي تتم عن اتساع أفق معرفتهم ، بدليل ما خلفوه من أبحاث ومؤلفات، وما أرسوه من مبادئ علمية أصيلة بخصوص اللفظ والمعنى، وبذلك نساهم في إعادة قراءة قضية اللفظ والمعنى تبعاً لجهود الصولي النقدية .

ما من شك أن الجاحظ (ت 255 هـ) هو أول من أشعل شرارة هذه المعركة ، وطرق أبوابها من زوايا متعددة وجوانب مختلفة في أكثر من موطن في كتبه ، وهو في كل ذلك يضع الأناقة والجودة والجمال في المزوجة بين اللفظ والمعنى .

ومن ذلك قوله : « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني إنما الشأن في إقامة الوزن ، و تخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع وجودة السبك » (1).

يشير الدكتور سلام في كتابه تاريخ النقد الأدبي والبلاغة إلى أن الجاحظ من أنصار اللفظ وأن اللفظ له استقلالية تامة عن المعنى ، يقول: ((فقول الجاحظ بأن المعاني مبدولة في الطريق

(1) الحيوان : 3 \ 131 - 132 .

وأن المعول في البلاغة على الألفاظ ووصفهم للصلة بين الاثنتين كالصلة بين الجواري والمعارض... فأياً ما كانت هذه الأوصاف ففيها تصور لكل واحد منهما قائم بذاته مستقل عن الآخر)) (1).

ويعلل الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب، سبب الفهم الخاطئ لرأي الجاحظ بأنه من أنصار اللفظ قائلاً :

((ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا القول إن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول لأننا نراه ينوه بألوان المعاني الغريبة العجيبة ، والشريفة الكريمة ، والبديعة المخترعة ، ويبين كيف يتنازعها الشعراء ، فيدعي كلُّ أنها من بنات أفكاره ووحى خياله ، وكيف أن من هذه المعاني ما يخرجها الشاعر إخراجاً لا يُبأرى فينصرف الشعراء عنه عجزاً)) (2).

ويرى الدكتور سعود عبد الجابر أيضاً أن الجاحظ من أنصار اللفظ والمعنى ، حيث يقول في كتابه النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره : ((ويرى الجاحظ في أكثر من مكان في مؤلفاته ضرورة الموازنة بين اللفظ والمعنى والملاءمة بينهما وهما عنده ركنان أساسيان لا بد من مراعاتهما على حد سواء في العمل الأدبي)) (3).

وأراني أطمئن إلى الرأي الثاني الذي يشير إلى المزوجة بين اللفظ والمعنى، لأن الجاحظ أشار غير مرة في مؤلفاته إلى ضرورة الموازنة بين اللفظ والمعنى ، والملاءمة بينهما حيث

(1) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري : 66

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 327 - 328 . الحيوان : 3 \ 311 .

(3) النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره : 68 .

يشكلان وحدة واحدة في العمل الأدبي ، وإن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد، كما أن المعنى روح اللفظ وغايته التي من أجله وضع .

أما ابن قتيبة (ت 276 هـ) فقد ذهب إلى القول بالجمع بين اللفظ والمعنى مقياساً في البلاغة وميزاناً للقيمة الفنية ، فرأى أن الشعر يسمو بسموهما وينخفض تبعاً لهما ، وقد قسم الشعر إلى أربعة أضراب :

1 – ضرب حسن لفظه وجاد معناه .

2 – ضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .

3 – ضرب منه جاد معناه ، وقصرت ألفاظه .

4 – ضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه (1) .

أي أن اللفظ والمعنى عنده يتعرضان معاً للجودة والقبح ، ولا مزية لأحدهما على الآخر، ولا استثناء بالأولوية لأحد القسيمين، فقد يكون اللفظ حسناً وكذلك المعنى ، وقد يتساويان في القبح وقد يفترقان. وسار على منهجه قدامة بن جعفر في نقد الشعر وتحدث عن اللفظ والمعنى وجعلهما قسيمين في تحمل مظاهر القبح وملامح الجودة فيما أورده من آراء في عيوب الألفاظ والمعاني(2).

أما ابن رشيق (ت 456 هـ) فقد عدّ اللفظ والمعنى شيئاً واحداً متلازماً ملازمة الروح للجسد ، فلا يمكن الفصل بينهما بحال ، قال : « اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه كارتباط

(1) الشعر والشعراء : 7 – 9 .

(2) نقد الشعر : 194 – 214 .

الروح بالجسم : يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه .. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه « (1) .

وعليه فإن الآراء تتضارب وتتعد في قضية اللفظ والمعنى ، والذي يهمننا في هذا المقام هو رأي الصولي الذي أدلى بدلوه في هذه القضية ، حيث وقف إلى جانب المزوجة بينهما وأن مقياس الجودة عنده هو الحد الفاصل ، كما جانس بين اللفظ والمعنى فهما عنده على هيكل واحد لا تفريق بينهما يقول :

((إن البحري احتذى معاني في أبيات لأبي تمام واقتصها فجذبته المعاني واضطرته إلى أن حكى لفظه)) (2) .

وفي حديثه عن مقياس الجودة الذي يعده الحد الفاصل بين الألفاظ والمعاني إذ إن المعاني التي يبتكرها الشاعر إنما تستند على الألفاظ ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل أي أن الجودة في ائتلاف اللفظ والمعنى . فالفخر مثلاً يناسبه الألفاظ الجزلة التي تملأ الفم ، ذات الجرس القوي ، والغزل يناسبه الألفاظ الرقيقة الناعمة ، والرثاء يناسبه الألفاظ ذات الموسيقى الهادئة التي تعبر عن الحزن والألم يقول :

(1) العمدة : 1 \ 124 .

(2) أخبار أبي تمام : 74 .

((وأبو تمام لا يسقط معناه البتة ، وإنما يختل في الوقت لفظه ، فإذا استوى له اللفظ الجيد من شعره النادر الذي لا يتعلق به أحد))⁽¹⁾.

يستطرد الصولي في حديثه عن اللفظ والمعنى في مؤلفه أخبار أبي تمام ، فيذكر تارة اللفظ وحده وأخرى يذكر المعنى وحيداً ، وهذا يوحي لكثير من الباحثين أن الصولي لم يقف موقفاً فصلاً في هذه القضية .

فيذكر المعاني المخترعة التي يتكئ فيها الشاعر على نفسه وهذا من باب وقوفه إلى جانب أبي تمام يقول : ((وليس أحد من الشعراء - أعزك الله - يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمام))⁽²⁾ ، إنما أراد هنا ذكر المعنى وحيداً من أجل إظهار ميزة البديع عند أبي تمام وعلوه على غيره من الشعراء ، لا من أجل تفضيل المعنى على اللفظ .

أراد الصولي أن يرد تهمة السرقة عن أبي تمام وأن يجد له مخرجاً فيها فذكر المعنى بمعزل عن اللفظ، لأن السرقة تكون في المعاني لا في الألفاظ ، يقول عن المعنى: ((ومتى أخذ الشاعر معنى وزاد عليه ، ووشحه ببديعه وتتم معناه فكان أحق به))⁽³⁾.

وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الصولي يفضل المعنى على اللفظ أو العكس إنما كما تم ذكره سابقاً أنه من النقاد الذين يزاوجون بين الألفاظ والمعاني والمقياس في ذلك الجودة .

(1) الموشح : 337 .

(2) أخبار أبي تمام : 53 .

(3) المصدر نفسه : 53 .

وقف الصولي إلى جانب الشعراء المحدثين وجعل أبا تمام على رأس هذه المجموعة من الشعراء ، وفضله على غيره منهم ، وتعرض إلى ألفاظهم وأكد أنها منتقلة إلى معان أبداع وألفاظ أقرب وكلام أرق⁽¹⁾ ، فهو يدافع عنهم من خلال ألفاظهم دون ذكر منه إلى معانيهم .

ومن هنا نجد أن الصولي قد تناول قضية اللفظ والمعنى ، وأنه يشيد بأهمية اللفظ تارة وأهمية المعنى تارة أخرى في أكثر من موضع ، مما يدل على أنه لم يهتم باللفظ على حساب المعنى ولا بالمعنى على حساب اللفظ ، وإنما زواج بينهما وأن لكل منهما دوراً بالغاً الأهمية في تمام اللفظ وجلاء الصورة عن المعنى، غير أن آراءه في قضية اللفظ والمعنى جاءت مبثوثة غير منتظمة ، وذلك في معرض حديثه عن قضايا أخرى كـ : وقوفه إلى جانب أبي تمام والشعراء المحدثين ، وحديثه عن قضية السرقات وردّها عن أبي تمام وغيرها .

يتضح إذن - من خلال ما سبق - أن نظرة الصولي لطبيعة اللفظ والمعنى هو التلازم، فلا وجود للفظ بدون معنى، ولا وجود لمعنى بدون لفظ ، فعالجها وفق مناهج ونظريات متباينة و لم يذكرها بشكل منفرد مخصوص .

(1) أخبار أبي تمام : 16 .

4- موقفه من الشعر وعلاقته بالدين

لم يعد الشعر ديواناً للجماعة ، ولم يعد مرتبطاً بالتعليم والتهديب ، وإنما أصبح متحللاً منها ، مطالباً بالقيام بدور الدعاية للطبقة المسيطرة وبدور إمتاعها والترفيه عنها، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرو أن نجد فئة قليلة من نقاد القرن الثالث والرابع الهجريين تنو بصرها إلى الدور القديم الذي كان يضطلع به الشعر أيام صدر الإسلام وبعده ببرهة ، أعنى ذلك الدور المتمثل في قيام الشعر بالحث على مكارم الأخلاق ومراعاة أحكام الدين .

وهناك رسالتان طريفتان : إحداهما لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ) والأخرى لابن المعتز⁽¹⁾. وهاتان الرسالتان توضحان المذهبين اللذين كانا سائدين في عصرهما - نهاية القرن الثالث الهجري - ورسالة أبي بكر الأنباري تمثل المذهب الأول الذي ذهب إلى ربط الشعر بالدين وقواعده ، ودافع صاحبها عن هذا المذهب ، ورسالة ابن المعتز تمثل المذهب الذي ذهب إلى فصل الشعر عن الدين . على أن رسالة ابن المعتز التي تمثل الأساس الأول لهذه النظرية لم تأت بمنهج واضح أو قاعدة صريحة لبناء نظرية فصل الدين عن الشعر التي ذهب إليها ، كما أنها ربطت العلاقة بين الدين والخلق من جهة وبين الشعر من جهة أخرى . وقد بلغت العلاقة أوجها حين حكم أبو عمرو بن العلاء للبيد بن ربيعة بالجودة والتفضيل لا لجودة شعره بل لإسلامه وذكره الله ، وذكره الدين والخير .

(1) جمع الجواهر : 41 - 44

يقول : ((ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة ، لذكره الله عز وجل ، ولإسلامه
ولذكره الدين والخير))⁽¹⁾.

رأى بعض النقاد أن يتقيد الشعراء بعقائد الدين وقواعد الخلق وأن يجعلوا عواطفهم متفقة
مع الدين والخلق ، بينما رأى بعضهم الآخر أن ليست ثمة علاقة بين هذا المقياس وبين الشعر
وتقويمه والحكم عليه .

ونتجاوز هذا كله لنصل إلى أبي بكر الصولي الذي وضع الدعامة الأولى لاستقلال هذه
النظرية النقدية في تاريخ النقد العربي التي تبناها من بعده القاضي الجرجاني⁽²⁾. فقد فصل
الصولي الدين وقواعده عن الشعر وأحكامه وأبعد الكفر والإلحاد عن جودة الشعر أو رداءته
وأكد أن الكفر لا ينقص من شعر الشاعر ، كما أن الإيمان لا يزيد منه ، يقول : ((وما ظننت أن
كفرًا ينقص من شعر ، ولا أن أيماناً يزيد فيه))⁽³⁾ .

ولكي يؤكد الصولي ما ذهب إليه أوضح أن هنالك شعراء ثبت الكفر عليهم ، وضربت
أعناقهم لمروقهم عن الدين ، إلا أن رتب أشعارهم لم تنتقص عند الناس ولم تذهب جودتها ، إلا
أنه لم يذكر هؤلاء الشعراء ، وقد أثبت هذا الاستقلال وهذا الفصل بين دين الشاعر وشعره بأن
كفره لا يؤثر على شعر ، بل قد يؤثر على الشاعر نفسه .

(1) الموشح : 71

(2) الوساطة : 64

(3) أخبار أبي تمام : 172

إذ يقول : ((ولو كان على حال الديانة لا غروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر
واضح الأمر ممن قتله الخلفاء بإقرار وبينه ، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم ، ولا ذهب
جودتها، وإنما نقصوا هم في أنفسهم ، وشقوا بكفرهم))⁽¹⁾ .

وقد فصل الصولي بين الدين والشعر على هذا الأساس ، ومهما يكن فإن الدراسة تذهب
إلى أن الصولي تكلم على هذه النظرية النقدية التي كُتب لها الاستقلال والنظرة المنهجية .

(1) أخبار أبي تمام : 173

الباب الثاني :

موقف الصولي من الخصومة بين القدماء والمحدثين

- أثر الصولي في الخصومة حول مذهب أبي تمام .
- موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام
- ميله لأبي تمام .
- رد تهمة الكفر عن أبي تمام .

الخصومة بين القدماء والمحدثين

جاء أبو تمام فجدد في الشعر العربي تجديداً حقيقياً ، وكأنه قد خرج عن ما عهدته الجاهليون والأمويون من شعر ، لذلك قامت خصومة بين أنصار أبي تمام وبين خصومه ، علماً أنه لم يغير شيئاً في الأصول الفنية للشعر العربي ، ولم يخرج إلا على عاموده ، ومعنى العامود عندهم - على ما يبدو - هو الصياغة ، فأغراضه الشعرية هي أغراض القدماء نفسها وطريقة بنائه للقصيدة هي طريقة القدماء ، وكذلك معاني شعره .

انتقلت الخلافة العباسية من دمشق إلى بغداد ، فجاور العرب الفرس وعاشروهم وأخذوا بحضارتهم المرهفة وقلدوهم واقتبسوا من عاداتهم وتقاليدهم ، فجدت في الشعر فنون وضروب لم يألّفها الجاهليون ، ولم يأنس إليها الأمويون كأشعار المجون والخمريات والغزل بالمدكر ، والجواري والحرية التي أفضت إلى الفوضى والابتذال .

لم تكن المشكلة قائمة بين القديم والحديث من تقيد القدماء بالأصول الفنية والأخذ بالموضوعات التي أخذ فيها الجاهليون والأمويون ، وإنما أتت الخصومة من تقيدهم بالتفاصيل وهذا ما يوضح لنا نزعة أبي تمام إلى التجديد في الصياغة واتخاذها البديع مذهباً له ، اتصف بالتكلف والإسراف والإغراب في المعاني المألوفة ، هنا ظهر النقاد الناقمون على أبي تمام من جهة والأنصار الداعمون لموقفه من جهة أخرى .

أثر الصولي في الخصومة حول أبي تمام

نشأت الخصومة حول شعر أبي تمام ثم تطورت بعد ذلك إلى المفاضلة بينه وبين معاصره البحتري الذي تتلمذ عليه في بداياته الشعرية ، وأفاد من شعره وشاعريته .
فقد اعترف البحتري - في أكثر من مرة - بفضل أبي تمام عليه في ذلك ، ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله : ((كنت في حديثي أروم الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبعي ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت إليه واتكلت في تعريفه عليه)) (1).

وقوله عندما سأله أحد معاصريه عن رأيه فيما يزعمه الناس من أنه أشعر من أبي تمام :
(والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضر أبا تمام ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، ولو وددت أن الأمر كما قالوا ، لكنني تابع له ، لأنه أخذ منه، نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه)) (2).

وفي الوقت الذي كان فيه البحتري يتحسس طريقه الشعري ، كان أبو تمام يتربع على كرسي الشعر في عصره ، مثيراً دهشة معاصريه بغرابة شعره الذي تضافرت عوامل كثيرة على خلقه وتكوينه ، ولعل أوضحها ذكاؤه وقوة طبعه فيقول له أحدهم ، وهو إسحاق الموصلي :
(يا فتى ما أشد ما تتكى على نفسك)) أي أنه لا يحتذي في نهجه الشعري حذو الشعراء السابقين وإنما يستقي منه من نفسه (3).

(1) زهر الآداب : 1 \ 101 .

(2) الموشح : 31 .

(3) العمدة : 1 \ 133 .

ومن هنا اختصم النقاد حول شعر أبي تمام بين مؤيد له ومعارض عليه ، ويزداد الخلاف بين الطرفين وتزداد حدته بظهور شعر البحتري وذيوعه بين الناس ، وخلو كرسي الشعر له بعد وفاة أبي تمام (1).

بدأ النقاد في المفاضلة بين الشعاعين ، وأخذ كل منهم في تحليل شعريهما لبيان محاسن كل منهما ومساوئه ، إذ يرى المؤيدون للبحتري في نهجه الشعري ميلاً إلى المحافظة على الأصول الفنية للشعر العربي القديم ، على العكس من نهج أبي تمام الذي يضطره كثيراً إلى الخروج على هذه الأصول .

تبارى النقاد في التأليف حول هذه الخصومة فهذا ابن المعتز يكتب رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه ، ويؤلف أحمد بن أبي طاهر كتاباً عن سرقات أبي تمام ، ويكتب أبو الضياء بشر بن تميم عن سرقات البحتري ، ويكتب ابن عمار عن أخطاء أبي تمام.

أما الصولي فيؤلف كتاب أخبار أبي تمام ويدافع في مقدمته عن هذا الشاعر ، ويخصص الفصل الأول منه للإشادة بفضله على غيره من الشعراء ، وأنه على رأس مدرسة الشعراء المحدثين .

إذ يقول : ((وهو رأس في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه حتى قيل : مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينتسب إليه ويقفي أثره)) (2). ويضيف الصولي أن ليس ثمة شاعر يعمل المعاني ويخترعها ويتكى على نفسه فيها غير أبي تمام (3).

(1) الموازنة : 1 \ 4 ، 19 .

(2) أخبار أبي تمام : 37 .

(3) أنظر المصدر نفسه : 53 .

وقد عمل الصولي جاهداً على أن يكتشف معاني أبي تمام الجيدة ، وبين أنه ((يتعب نفسه ويكد طبعه ويطيل فكره ويعمل المعاني ويستنبطها)) (1).

ويصل الصولي في تعصبه ووقفه إلى جانب أبي تمام بأن دافع عن سرقاته قالاً :
 ((بأن لو جاز أن يصرف عن أحد من الشعراء سرقة ، لوجب أن تصرف عن أبي تمام لكثرة بديعه واختراعه وانتكائه على نفسه)) (2).

ثم يعقد الصولي في كتابه السابق مقارنة بين أبي تمام والبحتري في أكثر من موضع يبين فيها فضل الأول على الثاني ، وأن البحتري اعترف في غير موضع بأن جيد أبي تمام خير من جيده (3).

أما الأسلوب النقدي الذي استخدمه الصولي في دفاعه عن أبي تمام ومذهبه الجديد في الشعر فهو على شكلين الأول :يهدف إلى إبعاد الشبهة عن نفسه في التعصب لأبي تمام وذلك عن طريق إثبات مجموعة من الروايات والأقوال المروية عن أئمة الأدب واللغة ، من أمثال ثعلب(4) والمبرد(5) وعن شعراء من أمثال ابن المعتز(6) والبحتري(7) و عمارة بن عقيل(8)، زكّل هذا من أجل إبعاد السرقة عن أبي تمام وذلك بأن أثبت الرواية لغيره .

(1) أخبار أبي تمام : 118 .

(2) المصدر نفسه : 100 .

(3) أنظر أخبار أبي تمام : 60 - 67 .

(4) أخبار أبي تمام : 176 .

(5) المصدر نفسه : 58 .

(6) المصدر نفسه : 97 .

(7) المصدر نفسه : 66 . 67 . 70 . 106 .

(8) المصدر نفسه : 58 . 94 .

أما الثاني : وهو الإسكات إذ يستخدمه في المناظرات التي كانت تنشأ بينه وبين من لا يرغب في أبي تمام وشعره ، عن طريق الإتيان ببيت لأبي تمام مقاربا في المعنى للبيت الذي قورن فيه ويكون أجود منه ، دون أن يأخذ البيت المقارن بالنقد والتحليل يقول الصولي :

((وجاذبني يوماً بعض من تعصب على أبي تمام بالتقليد لا بالفهم ويقدم غيره بلا دراية فقال :

أيحسن أبو تمام أن يقول كما قال لبحثري :

تسرّع حتى قال من شهد الوغى لقاءً أعاد أم لقاءً حائب⁽¹⁾

فقلت له : وهل افتض هذا المعنى قبل أبي تمام أحد في قوله :

حنّ إلى الموت حتى ظن جاهله بأنه حن مشتاقاً إلى وطن⁽²⁾ .

هذه بعض الأمثلة التي أوردتها الصولي في كتابه أخبار أبي تمام عن تفضيله لأبي تمام وتعصبه ووقوفه إلى جانبه .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الصولي لا يعد شعر أبي تمام انتهاكاً لحرمة عامود الشعر ولا خروجاً عليه ، بقدر ما يعده تعديلاً لمساره وتوجيهه وجهة جديدة ، وليس في شعره ما يدعو إلى اتهامه بالخروج على الصياغة التعبيرية للشعر العربي ، فاتجاهه هذا يدل دلالة واضحة على فهمه لروح الصياغة وتعبيره تعبيراً يتلاءم مع فكره وثقافته المستمدة من ينابيع الفكر والوجدان .

(1) ديوان البحتري : 2 / 69 .

(2) أخبار أبي تمام : 79 . ديوان أبي تمام : 346 .

موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام

شهد العصر العباسي ظهوراً كبيراً للاتجاهات الشعرية التي كانت تتسم بالتجديد ، بعد أن شهدت الحياة العربية تطوراً جديداً لم تألفه من قبل في الترف والتقاء الحضارات ، وحمل الشعراء دعوة التجديد واتخذها الكثيرون سبيلاً لهم في فنون قصائدهم وأغراضها ، فكانت سمة المجددين الذين وقفوا من القديم موقفاً فيه الكثير من التحدي والخروج عليه .

ويعد أبو تمام أول من حمل لواء التجديد في الشعر العربي ؛ لذا كان محط أنظار النقاد في عصره - وكما ذكرنا سابقاً انقسم النقاد بين مؤيد لهذا التجديد وبين رافض له وألفت فيه الكثير من الكتب والمؤلفات .

وقف الصولي مدافعاً عن أبي تمام وتصدى للنقاد المتعصبين على شعره ، ورد عليهم في كتابه أخبار أبي تمام الذي كان دفاعاً عن الشاعر بل كان إلى جانبه .

تحدث الصولي عن افتراق آراء النقاد في الشاعر ، وأكثرهم والمقدم في علم الشعر وتمييز الكلام منهم والكامل في أصل النظم والنثر فيهم ، يوفيه حقه في المدح ويعطيه موضعه من الرتبة ثم يكبر بإحسانه في عينه ، ويقوي بإبداعه في نفسه حتى يلحقه ببعضهم بمن تقدمه ويفرط بعضهم فيجعله نسيج وحده وسابقاً لا مساوي له ، وفريق يعيبونه ويطعنون في كثير من شعره . وخصومه صنفان . يقول الصولي : ((واذكر جميع ما قيل فيه وإن كان قصدي تبيين فضله والرد على من جهل الحق فيه)) (1).

(1) أخبار أبي تمام : 5 .

ثم يفند الصولي رأيه بمن عاب شعر أبي تمام بأن خصومه صنفان :

الأول: ((هم الذين يجهلون شعره ولا يستطيعون فهمه ، ولذلك عابوه وأسرفوا في التعصب عليه وتمسكوا بالقديم ؛ لأن أشعار الأوائل قد ذللت لهم وكثرت لها روايتهم ، ووجدوا أئمة قد ماشوها لهم وراضوا معانيها فهم يقرؤونها سالكين غيرهم في تفاسيرها واستجادة جيدها وعيب رديئها ، وألفاظ القدماء وإن تفاضلت فأنها تتشابه ، وبعضها آخذ برقاب بعض فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ويقرون على صعبها بما ذلوه ولم يجدوا في شعر المحدثين منذ عهد بشار أئمة كأئمتهم ولا رواة كرواتهم ، الذين تجتمع فيهم شرائطهم ، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به ، وقصروا فيه فجهلوه فعادوه ، كما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ ﴾⁽¹⁾ وكما قيل : الإنسان عدو ما جهل : ومن جهل شيئاً عاداه ، وفرَّ العالم منهم من قوله إذا سُئِلَ أن يُقرأ عليه شعر بشار و أبي نواس ومسلم وأبي تمام وغيرهم ، من لا أحسن إلى الطعن وخاصة على أبي تمام لأنه أقربهم عهداً وأصعبهم شعراً ، وكيف لا يفر إلى هذا من يقول : اقرعوا عليَّ شعر الأوائل ، حتى إذا سُئِلَ عن شيء من أشعار هؤلاء جهله ، وإلى أي شيء يلجأ إلا إلى الطعن على ما لم يعرفه ، ولو أنصف لتعلم هذا من أهله كما تعلم غيره فكان متقدماً في علمه ، إذ كان التعلم غير محظور على أحد ولا مخصوص به أحد))⁽²⁾.

ويدعو الصولي العلماء إلى البحث والتحليل ، والتعمق في الدراسة والاطلاع على علوم الأولين والمحدثين والأخذ عن الأساتذة المشهورين ، حتى يتقفوا أنفسهم ويكمل كل منهم النقص في الجانب الذي يجهله ، وبذلك يستطيع المرء منهم الحكم على الشعراء ، وتمييز ألفاظهم والحكم

(1) سورة يونس : 39 .

(2) أخبار أبي تمام : 14 .

بالجيد أو الرديء لهم ، فيكون عالماً بالكلام منظومه ومنثوره ، قادراً على معرفة الأشياء التي تطلب منه ، حافظاً لمآخذ الشعراء .

لقد أكد الصولي أن النقاد تعصبوا للقديم لا لشيء إلا لقدمه ، وتعصبوا على الحديث لحداثته ، وحاول أن يثبت هذه الحقيقة ، وكان يشير في أمثله إلى ابن الأعرابي الذي مثل المتعصبين للقديم على الحديث ، فقد أورد رواية على أن ابن الأعرابي وقف ندأً للمحدثين دون دراية أو تمحيص ، بل عن تعصب وتقليد . يقول الصولي :

((حدثني علي بن محمد الأسدي قال : حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال : وقف ابن الأعرابي على المدائني فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال إلى الذي هو كما قال الشاعر :

تحمل أشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

قال أبو بكر : فتمثل بشعر أبي تمام وهو لا يدري ، ولعله لو درى ما تمثل به ، وكذلك فعل في النوادر : جاء فيها بكثير من أشعار المحدثين ولعله لو علم بذلك ما فعله))⁽¹⁾.

وهذا تعليل للذين وقفوا من أبي تمام موقف المزري ؛ ذلك لأنهم كانوا يرون في شعر أبي تمام خروجاً عن أساليب العرب ، وإن كانت في أحكامهم قسوة فليس مرده إلى الجهل وإنما إلى موقفهم من الأدب عامة ويضاف إلى ذلك أن اختلاف الرأي ليس مرده إلى الجهل كما قال الصولي ، وإنما مرده في الغالب إلى اجتهاد قد يكون مصيباً وقد لا يكون .

(1) أخبار أبي تمام : 177 .

ثانياً: هم المعاندون الذين اتخذوا من تجريحه سبيلاً إلى المجد ، قال : ((فأما الصنف الثاني ممن يعيب أبا تمام فمن يجعل ذلك سبباً لنباهة او استجلاباً لمعرفة إذ كان ساقطاً خاملاً فألف في الطعن عليه كتاباً واستغوى عليه قوماً ليعرف بخلاف الناس وليجري له في النقص إذ لم يقع له حظ في الزيادة ومكسب بالخطأ إذ حرمه من جهة الصواب وقد قيل : (خالف تذكر) ولعله ظن إن هذا مثل قول الشاعر وهو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر :

إذا أنت لم تنفع فضراً فإنما يرجى الفتى كيما يضرَّ وينفعا)) (1).

وقال آخر : (إن فاتك الخير فارفع علما في الشر) ، واحتج آخر في قوله الشعر الرديء بأنه إنما أراد أن يذكر فقال :

سوف أهجوك إن بقيت بشعرٍ ليس إن قوموه فلسين يسوى
ويقولتون ذا رديءٍ وحسبي أن يقولوا له رديءٍ ويروى (2)

ويعلل الصولي هذا بأن الحسد والشهرة دافع إلى اتخاذ موقف معاد ، وهذا ما حصل لأبي تمام حيث طعن فيه الكثيرون ممن أثارته شهرته وشعره الذي طبق الأفاق فانبرى له المغمورون يتلبونه ، ويعيبون شعره ويتسقطون هفواته .

تحدث الصولي عن شعر المحدثين وما فيه من تجديد وأصالة وتميز على القديم ليصل إلى هدفه في تفضيل أبي تمام والدفاع عنه ، فألفاظ المحدثين منذ عهد بشار إلى وقته كالمتقلة إلى معان أبداع ، وألفاظ أقرب ، وكلام أرق وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء ، وأنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عياناً ، كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم

(1) أخبار أبي تمام : 40 - 41 .

(2) المصدر نفسه : 28 .

مشاهدة وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحارى والبر و الوحش وغيرها فهم في هذه أبداً القدماء
كما أن القدماء فيما لم يروه أبداً دونهم .

ولأن المتأخرين يجرون بريح المتقدمين ويصبون على قوالبهم وينتجون كلامهم ، وقلمأ
أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده ، وفي شعر هؤلاء معان لم يتكلم القدماء بها ، ومعان
أومأوا إليها فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها ، وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان ، والناس له أكثر
استعمالاً في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم ، وقد استحسنت الناس لامرئ القيس تشبيهه شبيئ
بشبيئ في بيت واحد في وصف عقاب (1) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لـ دى وكرها العنابُ والحشف البالي

يقول الصولي : إذا كان الناس قد قالوا ؛ لا يقدر أحد بعده على أن يأتي بمثله فإن بشار
وهو أعمى أكمه لم ير بعينه قط ، شبه حدساً شبيئ بشبيئ في بيت ، فأحسن في ذلك وأجمل
فقال :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَتْ كَوَاكِبَهُ

ثم نحا هذا ونبغ فيه أيضاً شاعر محدث آخر ، وهو منصور النمري شاعر الرشيد إذ قال :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا نَجْمٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جِبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ (2)

وقال العتابي أيضاً مشبهاً شبيئ بشبيئ :

تَبَنِي سَنَابِكهَا مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُ الْبَيْضِ الْمِبَاتِيرُ

(1) رسالة الصولي إلى مزاحم : 17 ، الشعر والشعراء : 55 ، زهر الآداب : 1843 . العقد الثمين : 104 .

(2) المذروبة الشرع : الرماح المشرعة .

هذا موقفه من المحدثين عامة ، ومن أبي تمام خاصة فقد دافع عنه ورد ما اتهم به من عيوب في شعره ، واتخذ قاعدة في ذلك وهي أن القدماء قد عيبوا فما سقطت مراتبهم ، ولكن أبا تمام حين عيب ادعوا انه ليس بالشاعر الكبير ، ولو وهم في بعض شعره أو قصر في شيء منه لما كان ذلك مستحقاً أن يبطل إحسانه.

ميل الصولي لأبي تمام

أشارت الدراسة سابقاً إلى أن الصولي يرى في خصوم أبي تمام أحد رجلين : رجل جاهل عجز عن فهمه فعابه ، ورجل ساقط يريد أن يتخذ من تجريحه لأبي تمام سبيلاً إلى المجد . وأما أن ينتقد أدب أبي تمام عن اعتقاد ودون دراية بفنون الشعر وصناعته ، فذلك ما لا يقبله الصولي ولا يستطيع أن يسيغه ، فهو يقول: ((وليت أبا تمام مني بعيب من يجل في علم الشعر قدره أو يحسن به علمه ، ولكنه منى بمن لا يعرف جيداً ولا ينكر رديئاً إلا بالادعاء))⁽¹⁾.

وإذا سمع بأن أحد النقاد قد عاب على أبي تمام لفظاً أو معنى كان جوابه : ((ولو عرف هؤلاء ما أنكروه الناس على الشعراء الحذاق من القدماء والمحدثين لكثير حتى يقل عندهم ما عابوه على أبي تمام إذا اعتقدوا الإنصاف ونظروا بعينه . ومنزلة عائب أبي تمام - وهو رأس في الشعر ، مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه حتى قيل مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينسب إليه ويقنفي أثره))⁽²⁾. وسبيله في الدفاع عن أبي تمام هو سبيل القياس بالقدماء أو السابقين على أبي تمام قياساً يدل على علو ذوق الصولي ، وعلى فطنته للمفارقات الأدبية الدقيقة ثم على محفوظه الشعري لأشعار السابقين ومعرفته بأخبارهم .

(1) أخبار أبي تمام : 38 .

(2) المصدر نفسه : 37 .

والأمثلة على ذلك كثيرة . يقول الصولي : ((وعابوا قوله وأسقطوه عند أنفسهم

ما زال يهذي بالموهب دائماً حتى ظننا أنه محموم⁽¹⁾

فكيف لم يسقطوا أبا نواس بقوله في العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر :

جذت بالأموال حتى قيل ما هذا صحيح⁽²⁾

والمحموم أحسن حالاً من المجنون : لأن هذا يبرأ فيعود صحيحاً كما كان ، والمجنون

قلما يتخلص . فأبو تمام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبذل بإكثار المحموم ، أعذر من أبي

نواس إذ شبهه بفعل المجنون ((⁽³⁾ . فهذا تعليل مقبول ومقارنة جميلة بين القولين .

وثمة مثل آخر أثار نقاشاً طويلاً ، يقول الصولي : وعابوا على أبي تمام قوله :

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

قال العائنون : ((ما معنى ماء الملام ؟))⁽⁴⁾ .

يقول الصولي في توضيح البيت وشرحه :

((وهم يقولون : كلام كثير الماء ، وما أكثر ماء شعر الأخطل ! قال يونس بن حبيب .

ويقولون : ماء الصبابة ، وماء الهوى ، يريدون الدمع))⁽⁵⁾ .

وبعد أن أورد أمثلة لشعراء تناولوا هذا اللفظ والمعنى في شعرهم قال الصولي :

(1) ديوان أبي تمام : 266 .

(2) أخبار أبي تمام : 32 .

(3) أخبار أبي تمام : 32 . ديوان أبي تمام : 10 .

(4) أخبار أبي تمام : 33 .

(5) المصدر نفسه : 34 .

((فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً فجاء به في صدر بيته لما قال في آخره))
 ((فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي)) . قال في أوله : لا تسقني ماء الملام . وقد تحمل العرب اللفظ⁽¹⁾ على اللفظ فيما لا يستوي معناه . قال الله عز وجل ﴿ جزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ والسيئة الثانية ليست بسيئة لأنها مجازاة ، ولكنه لما قال : جزاء سيئة ، قال سيئة ، فحمل اللفظ على المعنى ، وكذلك ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ وكذلك ﴿ وبشرهم بعذاب أليم ﴾ لما قال : بشر هؤلاء بالجنة ، قال : بشر هؤلاء بالعذاب ، والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر فحمل اللفظ على اللفظ . أظهر الصولي مقدرة فنية فائقة على الشرح والتحليل والنقد ، استخدم في ذلك ثقافته ومعرفته التاريخية واللغوية والأدبية .

رد تهمة الكفر عن أبي تمام

ذهب الصولي في ميله ودفاعه عن أبي تمام إلى رد كل طعنة كانت توجه إليه حتى فيما لا يتعلق بالشعر والأدب ، ومن ذلك أنه نفى عنه الكفر الذي اتهم به ، وأضعف رواية من رواها . ويروي الصولي أن أحمد بن طاهر قال له : ((دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم فقلت ما هذا ؟ قال اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة))⁽²⁾ .

ويقول أيضا : ((إن قوماً قد ادعوا على أبي تمام الكفر بل حققوه وجعلوا ذلك سبباً للطعن

على شعره وتقبيح حسنه))⁽³⁾ .

(1) أخبار أبي تمام : 35 .

(2) المصدر نفسه : 173 .

(3) المصدر نفسه : 173 .

وقال أيضاً : ((وقال قوم وهو حبيب بن تدوس النصراني فغير فصار أوساً، ونحن عندما ننظر في الشعر الذي هجا به أبا تمام نجده يدور دائماً حول اتهامه في نسبه قال الموصلي مخلص ابن بكار :

أنت عندي عربي الـ	أصل ما فيك كلام
عربي عربي	أجاء ما ترام
ثم قالوا جاسمي	من بني الأنباط خام
كذبوا ما أنت إلا	عربي ما تضام
أنت عندي عربي	عربي والسلام

وكان أبو تمام لا يجيب هاجياً له ، وقد سئل يوماً أن يرد على الموصلي فقال :

((إن جوابي يرفع منه وأستدر به سبه ، وإذا أمسكت عنه سكنت شقيقته ، وما في فضل

عن مدح من اجتديه)) (1).

ويقول شاعر آخر في هجائه :

وذكر حبيب بن أوشونا ودعوته	فإن طياً إذا سبوا به جزعوا
لو أن عبد مناف في أرومتهم	تقبلوك لما ضرروا ولا نفعوا (2)

إذن فأبو تمام كان يتهم بأنه نبطي ، وأنه ولد لأب نصراني ولربما كان في ذلك ما يفسر

اتهامه بالكفر .

(1) أخبار أبي تمام : 241 .

(2) المصدر نفسه : 242 .

التمس الصولي في الرواية التي أوردها أحمد بن طاهر العذر لأبي تمام ، وفسر قوله بأنه أراد أنهما - (أبو نواس ومسلم) - شغلاه بشعرهما عن عبادة الله عز وجل ، وأن من المحال أن يكون عبد اثنين ، ثم ينفي الكفر عنه بقوله :

((فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل شعره كله يشهد بضد ما اتهموه به حتى يلعنوه في المجالس ؟))⁽¹⁾.

لقد أضاعت آراء الصولي جانباً من جوانب الحياة الأدبية في عصره وخصوصاً ما دار حول الشعراء المحدثين وموقف بعض النقاد منهم ، حين حدد الصولي موقف النقاد المتعصبين وكشف الغطاء عن تعصبهم الذي جاءهم بالتقليد فقط ، وكذلك الحال فيما دار حول أبي تمام والبحتري إذ استطاع أن يبين موقف أعداء أبي تمام على الأقل ، إنما أعداء البحتري فلم يكشف الغطاء عنهم ، ولعل هذا لكونه في المقدمة منهم .

وأنا إذا أضع نهاية لسطور هذه الرسالة أرجو ألا أكون قد خطأت صواباً أو صوّبت خطأً وعذري أن أقول تلك هي مداركي ومعارفي سخرتها أشد التسخير ، وعسى أن تكون قد بلغت ما أردت .

(1) أخبار أبي تمام : 173 .

النتائج والتوصيات

- أبو بكر الصولي (336هـ) علم من أعلام النقد في القرن الرابع الهجري الذي يوصف بأنه عصر الإسلام الذهبي .

- نشأ أبو بكر الصولي في عصر نضوج الثقافة الأدبية والفكرية وتتلّمذ على عدد من رجال الفكر والأدب ، وكان من أشهرهم السجستاني والمبرد وثلعب وغيرهم من العلماء ، الذين كان لهم الأثر الأكبر في تطور ونماء الحياة الفكرية والأدبية والعلمية في عصر الصولي و ما تلاه، إلى عصرنا الحاضر .

- تعلم الصولي العلم بطريقتين معروفتين في عصره ، هما الرواية والدراية ، وليس أدل على ذلك من تتبع مصادر ثقافته ، فنجد في مؤلفاته نقلاً من شتى مصادر الأدب والنقد ، شارحاً وناقداً ودارساً، فهذا كتابه أخبار أبي تمام من أغنى كتب الصولي النقدية ، إذ ضمنه معظم آرائه ونظراته النقدية ، ولا شك في أن سبب ذلك ميله إلى أبي تمام ،وقف الصولي مدافعاً عن شاعر تأججت الخصومة حوله ، وكثرت النظرات النقدية في شعره ، تضلع الصولي في النقد الأدبي وأموره ، لتكون ردوده مقنعة ، وتكون كلمته هي العليا ، وحججه في دفاعه عن أبي تمام واضحة جلية لا تشوبها شائبة .

تطلب البحث في دراسة الجهود النقدية لأبي بكر الصولي أن اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة تضمنتها عدد من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

النتائج:

- إن النقد في نهاية القرن الثالث أصبح فناً أدبياً مستقلاً له رجاله ، وكتبه التي تناقش عدداً من القضايا التي توسع نقاد القرن الرابع الهجري في بحثها .
- لم يضع الصولي كتاباً خاصاً في النقد كما فعل غيره من نقاد عصره ، وإنما تناول القضايا النقدية التي دارت حول شعر الشعراء المحدثين من الناحية التطبيقية العملية فعالج الشعر وفنونه ومعانيه وألفاظه ، وهو نقد يقوم على التحليل والشرح وبيان مواطن الجودة والرداءة والجمال والقبح في الشعر، من خلال عقد المقارنات وتتبع سرقات الشعراء وإرجاع المعاني إلى أصحابها .
- وقف الصولي إلى جانب الشعراء المحدثين في الخصومة التي دارت حول أشعارهم وبين من خلال ذلك موقف النقاد المتعصبين عليهم ، وكشف عن تعصبهم الذي جاء بالتقليد الأعمى لا بالفهم والدراسة ، وأن عدائهم للشعر المحدث فقط لأنه يخالف الشعر القديم ولا يسير على نهجه ولا ينسج على منواله، بغض النظر عما فيه من تجديد وإبداع
- إن القضايا النقدية التي تناولها الصولي في مؤلفاته كقضية اللفظ والمعنى هي أساس قضية الشكل والمضمون ، كما أن قضية السرقات التي عالجها الصولي لم يخل أدب في الآداب العالمية منها .

- أما أبو تمام والبحتري فالصراع حولهما ما زال قضية يتناولها الدارسون لدى حديثهم عن القديم والحديث أو الأصالة والمعاصرة .

فلست أدعي أن أبا بكر الصولي كان أساساً لكل هذه القضايا ، ولكنه واحد من الذين أرسوا دعائم النظرية النقدية في الأدب العربي وأصالتها ، على الرغم من التحديات التي واجهتها .

التوصيات :

- الصولي هذا العالم الجليل، ما زال بحاجة إلى دراسة في كثير من النواحي ، فلم يكن ناقداً وحسب ، وإنما كان أديباً وشاعراً ومؤرخاً وندبياً للخلفاء ، وكان من أصحاب المكتبات الكبرى التي تضم العديد من الكتب في شتى صنوف العلم والمعرفة .
- توصي هذه الدراسة طلبة اللغة العربية بالاشتغال في النقد الأدبي لما فيه من مجال واسع لإدراك الغاية السامية من اللغة العربية ولما فيه من جمال لتذوق النص الأدبي شعراً ونثراً .

وبهذا تنتهي دراستي في الجهود النقدية عند أبي بكر الصولي ، وأسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في تبيان جهوده وتوضيحها ، وإن قصرت فذلك لا يسلم منه بشر .

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين، البداية والنهاية في التاريخ . (1933م) . مصر ، مطبعة السعادة.
- ابن الأثير، ضياء الدين،. الكامل في التاريخ . (1966م) بيروت ، دار صادر .
- الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني . (1963م) . المؤسسة المصرية للنشر والترجمة .
- الأمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين أبي تمام والبحتري .(1965م).تحقيق أحمد صقر ، مصر ، دار المعارف .
- الأنباري ، أبو البركات كمال الدين ،(1294هـ). نزهة الألباء في طبقات الشعراء . القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- الأندلسي،ابن عبد ربه ،العقد الفريد . (1940م). تحقيق أحمد أمين وآخرون ، القاهرة.
- أورنه ، سماح عدنان ، (2003م) . التلقي الجمالي في النقد العربي القديم - شعر المتنبي نموذجاً - في القرنين الرابع والخامس الهجري . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة دمشق ، سورية .
- البحتري ، الوليد بن عبيد بن يحيى ، ديوان البحتري . (1943م) . مطبعة الجوانب القسطنطينية ، ط 1 .

- البكري ، طرفة بن العبد ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، ديوان طرفة بن العبد . (1886هـ) . المطبعة اللبنانية ، بيروت .
- بروكلمان ، كارل ، (1959م). تاريخ الأدب العربي . ترجمة عبد الحليم النجار ، مصر دار المعارف .
- البغدادي ، إسماعيل ،هدية العارفين . (1955م) . استانبول ، المطبعة البهية.
- البغدادي ، الخطيب ، تاريخ بغداد . (1931م) . القاهرة .
- تحريشي ، محمد ، (1989م) . النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة حلب ، سورية .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين . (1969م) . تحقيق عبد السلام هارون ، ط4 ، بيروت ، دار إحياء التراث .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان . (1938م) . تحقيق عبد السلام هارون مصر.
- الجرجاني ، القاضي عبد العزيز ، الوساطة بين المتبني وخصومه . (1966 م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي ، القاهرة .
- ابن جعفر ، قدامة ، (1948 م) . نقد الشعر . تحقيق كمال مصطفى ، مصر .
- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك . (1992م) تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

- ابن حجر، لسان الميزان، (1331هـ) مطبعة حيدر آباد .
- الحصري ، إبراهيم بن علي ، . جمع الجواهر في الملح والنوادر ، (1953 م) . تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر .
- الحصري ، إبراهيم بن علي ،زهر الآداب وثمر الألباب ، (1972 م) . تحقيق عبد الحميد ، ط4 ، بيروت ، دار الجيل للطباعة .
- الحموي ، ياقوت ، إرشاد الأديب ، (1913 م) . مطبعة ليدن .
- الحموي ، ياقوت ، معجم الأديباء ، (1936 م) . مطبعة دار المأمون .
- الحنبلي ، عبد الحي بن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب . (1989 م) . تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط 1 ، دمشق ، دار ابن كثير .
- خلكان ،شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . (1970 م) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر .
- خليفة ، حاجي (بلا تاريخ) . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . دار الفكر ، الطبعة الفيصلية .
- ربابعة ، وليد سليم ، (1995م) . نظرية الذوق في النقد الأدبي عند العرب من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري - ماهيته ومهمته - . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة اليرموك ، الأردن .
- الرومي ، علي بن العباس بن جريح ، ديوان ابن الرومي . (1283هـ) . المكتبة الحميرية ، الرياض .

- الزركلي ، خير الدين ، (1995م) . الأعلام . ط 9 ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- سلام ، محمد زغلول ، (1964 م) . تاريخ النقد الأدبي إلى القرن الرابع الهجري . دار العارف .
- ابن سلطان ، أبو الفداء إسماعيل ، (بلا تاريخ) . تاريخ أبي الفداء . دار الكتاب اللبناني
- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ، الأنساب . (1912م) . نشر مرجليوث مطبعة ليدن .
- الصولي ، أبو بكر ، أخبار أبي تمام . (1972 م) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبد عزام ونظير الإسلام الهندي ، بيروت .
- الصولي ، أبو بكر ، أخبار البحري . (1958 م) . تحقيق صالح الأشر ، دمشق ، دار الفكر .
- الصولي ، أبو بكر ، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم - من كتاب الأوراق - (1936 م) . تحقيق هيورث دن ، القاهرة .
- الصولي ، أبو بكر ، أخبار الرضي بالله والمتقي لله - من كتاب الأوراق - (1935 م) تحقيق هيورث دن ، القاهرة .
- الصولي ، أبو بكر ، أخبار الشعراء - من كتاب الأوراق - (1934 م) . تحقيق هيورث دن ، القاهرة .
- الصولي ، أبو بكر ، أدب الكتاب . (1341 هـ) تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة

- الطائي ، أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوان أبي تمام . (1968م) . شرح الدكتور شاهين عطية ، ط1 ، الكتاب اللبناني ، بيروت .
- عباس ، إحسان ، (1983م) . تاريخ النقد الأدبي عند العرب . بيروت ، دار الثقافة .
- عبد الجابر ، سعود محمود ، (2000م) . النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره . ط 1 عمان ، الحامد للنشر والتوزيع .
- عتيق ، عبد العزيز ، (1974 م) . تاريخ النقد الأدبي عند العرب . بيروت ، دار النهضة العربية .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء . (1967 م) . تحقيق أحمد محمد عساكر ، دار المعارف .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الأخبار . (1930 م) . مطبعة دار الفكر المصرية .
- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، أنباه الرواة على أنباه النحاة (1950 م) تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، دار الكتب .
- القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (1972 م) . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، بيروت ، دار الجيل .
- الكندي ، امرؤ القيس ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، ديوان امرئ القيس . (1886م) . المطبعة اللبنانية ، بيروت .
- لدجي ، أحمد ، (1922 م) . الفلاحة والمفلكون . مصر ، مطبعة الشعب .

- المرزباني ، أبو عبيد الله ، معجم الشعراء . (1960 م) . تحقيق عبد الساتر أحمد فراج مصر .
- المرزباني ، محمد بن عمران ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . (1965 م) . تحقيق محمد البجاوي ، القاهرة ، دار النهضة .
- المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب . (1958 م) . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ، مطبعة السعادة .
- مطلوب ، أحمد ، (1973م) . اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري . الكويت وكالة المطبوعات .
- المزني ، زهير بن أبي سلمى ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين ، ديوان زهير بن أبي سلمى . (1886م) . المطبعة اللبنانية ، بيروت .
- مندور ، محمد ، (1969 م) . النقد المنهجي عند العرب . مكتبة النهضة المصرية .
- المنذر ، حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت . (1281هـ) . المطبعة المحمدية الرياض .
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين لسان العرب . (1955م) . بيروت ، دار صادر
- موسى ، محمد خير شيخ ، (1992م) . نقد النثر العربي حتى القرن الرابع الهجري . (أطروحة دكتوراه) ، جامعة دمشق ، سورية .
- المومني ، قاسم ، (1986م) . نقد الشعر في القرن الرابع الهجري . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر .

- ابن النديم ، محمد بن إسحق ، الفهرست . (1348 هـ) . تحقيق رضا تجدد المطبعة الرحمانية .
- هدارة ، محمد مصطفى ، (1958 م) . مشكلة السرقات في النقد العربي . مصر .
- اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن سعد ، مرآة الجنان . (1383 هـ) . حيدر أباد مؤسسة الأعلمي .